
رواية
السيناريو
ضد الرقابة
أحمد عثمان
إبداع
t.me/twinkling4

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



الكتـــــــاب: السيناريو X
اسم المـــؤلف: أحمد عثمان
تصميم الغلاف: مارك إبراهيم
تنسيــق الكتاب: مؤسسة إبداع
التدقيق اللغوي: محمد فهمي
الطبعــــــة: فبراير 2023
رقـم الإيـــداع: 1765 / 2023
الترقيـم الدولـي: 1 - 579 - 779 - 977 - 978
الموقــــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774


العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهـــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com

dar__ibda3   ibda3-tp   dar__ibda3

٢٧٠٦٧٥٥٨٨١



مستوحاة من أحداث مكتوبة



الإهداء..

إلى كل شخصياتي الوهمية

أكتب (أنا) إليكم



أكاد أسمع صوت أنفاسه في أذني وهو يلهث صاعدًا درج الاستوديو، فاقدًا التمييز بين واقعه والخيال، فأنا من يهمس دومًا في ذهنه، متمتمًا بالكثير مما يجهله، يظنني أوهامًا، يشكو للجميع من تلك الأصوات داخل عقله المريض، وإن كان يجهل أنه صوتي (أنا) فلا تزال أفكاري تتوغل إلى عقله الباطن متحكمة في الكثير من أفعاله، بعدما فشل في الهروب مني، فها (أنا) أهمس إليه بخيانتها له، بل وأحضر المشهد إلى ذهنه، ريثما يكمل صعوده إلى الهاوية درجة تلو الأخرى حتى وصل إلى الطابق المنشود ليفتح مسرعًا هذا الباب الخشبي، حتى همست له بصوت أنينها بين أحضان عشيقها؛ ليزداد جنونه، حتى وصل إلى تلك الغرفة النجسة، ليتأكد من رؤياي وهي بين أحضان الرجل العاري على السرير؛ ليزداد إيمانه بحديثي، ويصير عبدًا لي، (أنا) خالقه الذي أملي عليه خطواته، لآمره بإخراج مسدسه موجهًا إياه إلى صدر الرجل الذي احتضن رصاصة انتقامي، غارقًا في دمائه، لتفزع وهو يوجه إليها سلاحه، ولكني أمرته أن يثلج صدورنا بيديه، ليصفعها صفعة تلو الأخرى لتمتع أسماعنا بأنينها وصراخها، قبل أن أوسوس إليه ليمسك برقبتها مانعًا عنها نعمة الهواء الذي لم تستحق يومًا استنشاقه.

- "stop.....stop"



كررها المخرج مرارًا دون أن يستعيد «فارس» نفسه، ليكمل محاولة خنق تلك الممثلة البائسة التي كادت تفارق الحياة، قبل أن يتدخل طاقم التصوير جميعًا يحاولون تهدئة هذا الثور الهائج الذي هابه الجميع رغم ضآلة جسده، إلا أن كثرتهم قد نجحت في إبعاده أخيرًا عنها، ناقلين إياه خلف الكاميرا التي كانت تصور هذا المشهد من داخل البلاتوه الذي كانوا يصورون به هذا المشهد الأخير من الفيلم، ليظل «فارس» يرمق زميلته الممثلة التي يخرج الدم من فمها إثر تهجمه بينما عيناها تجحظان له توعدًا.

- وهيَّ حصلها حاجة؟

تساءلت الطبيبة النفسية «هدى الحكيم» من داخل عيادتها الدافئة والتي يتردد عليها «فارس» منذ صدمته التي زرعت الهلاوس في عقله ليجن جنونه، وأرسم (أنا) له الطريق:

- هي في المستشفى...

علق «فارس» بانكسار يتماشى مع موهبته، فلقد كان ممثلًا بارعًا بالفعل يمتلك كل مقومات النجاح، فهو أربعيني وسيم، ذو عينين زرقاوين تجذبان كادرات المخرجين، كما حافظ على جسمه ممشوقًا متمسكًا بنظم غذائية صارمة،



إلى أن أصبح معشوقًا للكثير من النساء، خاصة منذ توغلت بعض خصلات الشعر الأبيض متسللة ثنايا شعره الناعم.

- وهو اللي حصل ده اتكرر قبل كده يا «فارس»؟

قالتها «هدى» الصهباء في هدوء كعادتها، فهي محترفة في عملها، لذا كانت اختيار «فارس» الأمثل نظراً لخبرتها، والأهم أنه لم يكن ليتحدث إلى رجل بما يواجهه عقله، لذا فضل الاعتراف بما يسمعه إلى امرأة، ولقد كانت «هدى» جذابة، من أب مصري وأم كندية وقد درست علم النفس وتخصصت فيه بكلية الطب في كندا قبل أن تعود من أجل المنفعة كما تدعي، وإن كانت تقوم هي بتجاربها الخاصة على مرضاها بمبدأ «النفعية» بالفعل.

- أنا طول عمري بتقمص أدواري يا دكتوره.

مدافعًا أجاب «فارس» فابتسمت له بعفوية.

- بس ده مش تقمص عادي، ده تماهي يا «فارس»... إنت بقيت عايز تهرب من الواقع بأي شكل، عشان كده بتحاول تصدق أي قصة وتدوب جواها، وده خطر نفسيًّا عليك، ده مش حل...



ظهر الخوف عليه، لتحاول تهدئة حديثها:

- ماتقلقش يا «فارس»، أنا بس محتاجه أتأكد إذا إنت كنت كده من قبل اللي حصل ولّا لأ.

لم يجب «فارس» بل صفن شاردًا في ماضيه، ناظرًا إلى خاتم زواجه بيده اليسرى ثم شخص ببصره نحوها بثقة كاذبة.

- مش مهم.... أنا بجيلك هنا عشان الأصوات اللي في مخي دي عايزك توقفيها يا دكتور..

هكذا وصفني «فارس» مهينًا إياي دون أن يدري أنني قد أكون دوره الأهم في الحياة.

- يا «فارس» ماتهربش من المشكلة الحقيقية، إحنا مش كل ما هنعالج حاجة هاتهرب لحاجة تانية، المرة دي كنت بتمثل دور واحد مراته بتخونه، معرفش بكرة الدور هايكون إيه!

بتوتر قالتها ليهاب «فارس» مستقبله بينما كنت (أنا) منشغلًا عنهم في تلك اللحظة أكسر رقاب بعض رجال الأمن في فيلا «شوكت العلايلي»، فليتبعني كل من يريد الحقيقة....وها هو «فارس» قد سمعني للتو، فلتتبعني إذًا



أنت الآخر.

* * *

من داخل قصر «شوكت» كنت (أنا) هنا غاضبًا أبحث عن الدماء، لتروي عطشي، ممسكًا برقبة هذا الرجل قبل أن أجثو بها على ركبتي مستمتعًا بصوت كسرها وعظامها تتقعقع في نغمات مطربة، ليسقط الرجل أرضًا بجانب الآخرين قد تكومت أجسادهم داخل حديقة القصر، لأقف في هدوء مرتديًا بدلتي الرياضية سوداء اللون، ليظهر من أمامي «شوكت العلايلي» بعد أن تملكه الرعب مذعورًا من هول ما رأى من عظيم انتقامي.

- إعقل يا «طارق»..هاديك كل اللي إنت عايزه.

قالها «شوكت العلايلي» مستغيثًا بي، ولكني ابتسمت وتقدمت بهدوء قاسٍ بينما أخذت يدي اليمنى ترتعش لا إراديًا كعادتي ليهرع «شوكت» مبادرًا بالهروب وسط الحديقة الشاسعة، متجهًا إلى باب القصر، بينما يلتفت في كل لحظة مصفرًا لونه من شدة خوفه باحثًا عني ليجدني قد اختفيت متلاشيًا، غير أنني كنت في تلك اللحظة أمامه أنتظره لدى الباب، لأخرجه من جنة الأرض إلى جهنم وقد كان. فبعد أن رطمت رأسه أرضًا بدأت المتعة لتوها وأنا أسحل الرجل ذلًا على الأرض ممعنًا في امتهانه، أرقى

به الدرج صاعدًا به إلى داخل قصره الموحش، لأنظر إلى كل هذا العز الذي لم يعد ينفعه، خاصة تلك الثريا الكريستالية الضخمة التي أغرتني لأكمل نشوتي، فهأنذا أواصل طقوسي، بينما كان هذاك الغراب الأسود يراقب وليمته من النافذة العلوية، حتى انتهيت (أنا) وهو في فجر تلك الليلة المقدسة، لأختتم سعادتي مع صباح يوم جديد.

بعد ساعات طويلة كان رجال الداخلية يجوبون المكان بحثًا عني، ولكني كنت الآن في مكان آخر، بعدما أنهيت مراسم حفلي، من بينهم كان المقدم «هشام» قد وصل للتو، وهو أربعيني عازب، مخلص لعمله بالفعل، حاله حالي. توقف «هشام» من أمام جثة «شوكت» المشنوقة بحزامي الأسود في تلك الثريا في اشمئزاز جرحني، فلم يقدر الرجل فني عكس رجال الطب الشرعي الذين ظلوا يصورون لوحتي الفنية في فخر جعلني أنتشي.

رن جرس هاتف «هشام» ليجيب بيده اليمنى إذ لا تزال يده اليسرى معلقة بجبيرتها منذ الحادث الذي جمعنا منذ أسابيع.

- أيوه يا فندم، لاقيناه مشنوق برضه بنفس حزام الجودو الأسود ومربوط ومتعلم عليه برضة علامة X......

أبلغ «هشام» رئيسه للتو عن فني، فلقد كانت يد الرجل



مربوطة خلف خلاف كعلامة X مثل تلك العلامة التي حفرتها على جبهته، لتنتشر أخباري كالنار في الهشيم على جميع صفحات شبكات التواصل الاجتماعي حال القنوات التليفزيونية ومنها قناتي المفضلة، والتي خرجت أهم مذيعاتها بالخبر على مسامعي.

«هذا وقد ورد إلينا مقتل رجل الأعمال المشهور «شوكت العلايلي».. وقد أكدت مصادرنا أنه قد شُنق بنفس حزام الجودو الأسود الذي نُفذت به جريمتان أخريان في الأيام الماضية، كما تم ربطه وتعليمه بنفس علامة X على جبهته، ليصبح رصيد هذا القاتل الفار من العدالة ثلاثة من رجال الأعمال المرموقين، بخلاف عشرات الأبرياء الذين تصادف وجودهم في مسرح الجريمة».

ابتسمت لشاشة التلفاز نخورًا بما أبدعت، قبل أن أنتبه لمكاني، فلقد كنت حاليًا في تلك المستشفى أنظر إلى عشيقة عمري وأميرتي «أميرة» الراقدة أمامي عاجزة كعادتها على أجهزة التنفس الصناعي ومستشعرات العلامات الحيوية، قد التقمت بعضها بفمها، وبعضها تخلل أنفها أو ألصق بصدرها، وإن ظلت بجمالها الهادئ، البيضاء كالملائكة، ذهبية الشعر الحريري، كانت تتمتع بعينين عسليتين تسر الناظرين، وإن كانت عيناها مغمضة منذ ذلك الحادث الذي أحاول جاهدًا نسيانه، هاربًا مرة



أخرى إلى مذيعة التلفاز.

«هذا وقد أعلن مسؤول أمني أنه يفصلنا مجرد ساعات عن القبض على هذا القاتل.. فيا ترى من هو هذا القاتل الغامض؟ وما الدافع الحقيقي خلف جرائمه؟ هذا ما ننتظر كشفه في الأيام القادمة...».

أغلق (أنا) التلفاز للتو، ودنوت لأقبل رأس أميرتي، والتي لا تزال كلماتها تدور في ذهني حين طلبت مني وعدًا بعدم تركها أبدًا وهاهي تحنث بوعدها، لأضطر (أنا) إلى اتخاذ قرار أخير، لأودعها واتجه إلى مكتب هذا الضابط العنيد بالمباحث العامة، حيث كان «هشام» هناك خلف مكتبه يدخن سيجارته غير منتبه لوصولي للحظات.

- مساء الخير.

- مساء النور.

هكذا رد «هشام» دون أن يرفع عينيه من على هاتفه.

- أنا «طارق علوان».

نفث دخان سيجارته دون أي احترام لهيبتي.



- وعايز إيه بقى يا عم «طارق»؟

- أنا جاي أسلم نفسي.

انتبه المقدم «هشام» إليَّ للتو متوقفًا لوهلة عن التدخين ليعود بظهره راجعًا إلى الخلف وهو ينظر إليَّ متفحصًا للمرة الأولى و(أنا) دون قناعي، جاهلًا من أكون.

(أنا) «السجين المجهول، المعروف بالسجين X».

* * *



(٠١)

تضاء إضاءة السينما للتو بعد انتهاء العرض الأول للفيلم الذي كان يصوره «فارس» منذ شهور، ليقف وسط زملائه من صناع العمل الذي احتفى بهم الحاضرون بتصفيق حاد لينهال عليهم الجميع محيين ومهنئين، بينما بدأ المصورون يخطفون صورًا سريعة حال الصحفيين الذين أسرعوا نحو سائر النجوم في محاولة لانتزاع سبق صحفي بأي خبر، خاصة من «فارس» الذي لم يكن سعيدًا كزملائه، فلقد كنت (أنا) لا أزال أوسوس في عقله، ليرمق زميلته الممثلة التي تهجمنا عليها سويًا في مشهد الفيلم الأخير، فظلت تسترق نظرات معاتبة كسهام متراشقة، فلم تكن لتنسى يومًا ما حدث، فما كان منها إلا أن ولت هاربة وسط الحضور ممتنعة عن الحديث.

لاحظ الصحفيون الأمر الملفت للنظر، خاصة مع تناثر الشائعات في الفترة الأخيرة عما حدث، رابطين بين الواقعة وما تعرض له «فارس» مؤخرًا، مشيرين إلى عدم سلامة عقله، الأمر الذي أستطيع (أنا) الجزم به.

فتح «فارس» قربته الفراشية الحمراء التي ارتداها على بذلته الكلاسيكية، باحثًا عن المزيد من الهواء، قبل



أن يجدها تبتسم له من بين الحضور، إنها «فاتن» تلك الأربعينية الجذابة التي لا تستطيع أن تشيح بصرك عنها، فمختلفة هي عن الجميع، كستنائية الشعر، طويلة القوام الممشوق، كانت ترتدي فستانًا بسيطًا أبيض كلون بشرتها الناعمة، ابتسمت له مطمئنة، فتبسم وخطا نحوها بضع خطوات قبل أن أوقفه مذكرًا إياه بواقعه، فلا يستطيع الجهر بعلاقتهما الآن، فانكسرت هي بعد أن كادت تطير فرحًا بقدومه، لأعيدها إلى الأرض، فليست الحياة كالأفلام التي تعشقها، كعادتها حاولت إخفاء انكسارها وظلت ترمقه و(أنا) أعيد توجيه «فارس» إلى الخارج هاربًا حيث كان صديقه «خالد المليجي» منتج العمل يصور لقاءً تلفزيونيًّا مع إعلامية مثيرة استطاعت جذب انتباهه بإمكانياتها المهنية.

- هل فعلًا يا أستاذ «خالد» حصل خلاف بين أبطال العمل؟

لم ينتبه «خالد» لسؤالها، بل ظل يمعن النظر في صدرها الذي كان في مستوى نظره نظرًا لقصر قامته، ليكمل بجاحة حملقته بالنظر وهو يضع يديه داخل جيوب بنطاله المرفوع على جسده البدين، فلم يكن «خالد» ممن يهتم بمظهره مثل النجوم، فهو من يصنعهم، وقد اختار أن يكون ماله وسلطته هي ما تجذب الانتباه، فيعتبره الجميع بمثابة المخلص الذي يملك مفتاح الجنة لكل من يبحث عن



النجومية والشهرة.

كررت المذيعة سؤالها لينتبه «خالد» أخيرًا ويجيب وهو يمرر يده على خصلات شعره القليلة التي تعجز عن ستر صلعته.

رمق «خالد» صدر المذيعة غير منتبه لسؤالها، فلقد كان قصير القامة:

- لأ طبعًا.. إحنا كلنا في الفيلم هنا أسرة واحدة.

ابتسمت الإعلامية التي كشفت كذبه ببساطة:

- بس تسمحلي يا فندم، بطلة العمل نفسها قالت كده، وكمان هي مرضتش حتى تستنى للمؤتمر الصحفي وانسحبت بعد العرض مباشرة.

بدا «خالد» مرتبكًا كما ظهر عليه الضيق، فلم يكن ممن يؤمن بالنقد بأي صورة:

- وأنا كمنتج العمل بقولك مفيش أي مشاكل خالص، كل ده من ضغوطات المشروع، وحضرتك عارفه الظروف اللي إحنا صورنا فيها.



- يعني حادث الأستاذ «فارس» مأثرش عليه!!

ابتسم «خالد» الذي كان يرى في حالة «فارس» وظروفه مادة خصبة للتعاطف التي يستطيع المتاجرة بها بالطبع.

- بالعكس.. «فارس» on fire، ومدي وقته كله للشغل وتقمصه للدور لدرجة حقيقي تخض.

كان صادقًا في تلك المعلومة، فلقد كان «فارس» متماهيًا في كل ما يفعله، حاله حالي، ولكني كنت متماهيًا في انتقامي الذي تجرع منه من يستحق، وكنت في تلك اللحظة في حبسي أنتظر يوم محاكمتي، أحدق في جدران محبسي الواسع دون ضيق، فلقد كنت أمتلك وسع الدنيا بقلمي وأوراقي التي ظللت أدون فيها حكايتي، فلم أجد غير القص مهربًا، ولكني قصصت قصتي فقط لأوراقي، التي فضلتها على الجميع، فرغم اعترافي بما اقترفت يداي، لم أشاركهم يومًا السبب؛ الأمر الذي ساهم في شهرتي رغمًا عني، خاصة بعد يوم المحاكمة حين بدأ محامي الدفاع الذي عُين لي رغمًا عني مرافعته الواهية.

- يا سيادة القاضي.. رغم اعتراف موكلي، إلا أن الجرائم لا تزال تفتقر إلى الدافع.



قالها المحامي بثقة كان يجهل توابعها وسط المحاكمة في هذا اليوم الحار، رغم الشتاء، فلقد كانت جدران المحكمة تحتفظ بطاقة كل المحكوم عليهم وهم كثر، بين قاتل وسارق ومغتصب، كل منهم سقى أرضية تلك المحكمة بعرق لم يستطع الأبرياء قهره.

- وسيادة القاضي الدافع يعتبر العنصر الأهم لأي جريمة قتل، لا يقل أهميةً عن سلاح الجريمة نفسه.

أغضب المحامي وكيل النيابة الذي وقف معترضًا.

- سيادة القاضي.. عدم اعتراف المتهم بالدافع لا ينفي وجوده، والمتهم اعترف بالتفصيل الممل للجرائم اللي أكدتها النيابة.

ابتسمت للرجل من خلف قضبان محبسي، ظللت متهكمًا لتزيد وقاحتي غضبه، قبل أن يتدخل المحامي:

- سيادة القاضي.. أنا مابنفيش التهم، أنا فقط بشير لسيادتكم إن المتهم مكنش في وعيه، بمعنى أصح أنا بشكك في قدرته العقلية.

أهانني المحامي للتو بينما راق حديثه وكيل النيابة الذي جلس راضيًا قبل أن يتفاجأ الجمع بوقوفي رافعًا يدي اليمنى



برعشتها المعتادة.

- سيادة القاضي!!

- في حاجه يا «طارق»؟!

سأله القاضي باحترام كعادته، فلقد كان صدقًا يبحث عن العدل الذي طبقته بنفسي منذ أيام، الأمر الذي يجعل كلاً منا زميلًا للآخر.

- أنا عايز أتكلم يا سيادة القاضي.

- إتفضل يا «طارق».

أجاب زميلي المحترم، لأستهل (أنا) حديثي في قاعة المحكمة التي شعرت فيها للتو بصوت الحق يخرج من فمي، فتناسيت وأبدعت، فـ(أنا) في كامل قواي العقلية.

- أنا في كامل قوايا العقلية يا سيادة القاضي....

اندهش القاضي حال الجميع، ليزداد إعجابي بنفسي و(أنا) أكمل:

- و(أنا) مش محتاج محامي يدافع عني أو يقلل العقوبة،



(أنا) قتلت و(أنا) في كامل وعيي، (أنا) غضبان، وعطشان للدم، ولو حضرتك منفذتش فيا حكم الإعدام، إنت لوحدك اللي هاتتحمل كل نقطة دم جديدة.

قلتها بقوة و(أنا) أتوعد الرجل بنظراتي، لأجزم أنه غلب على ظنه أني قاتله، وسط تلك الضجة التي ظهرت للتو بين الحضور.

* * *

من منزله يظهر «فارس» وهو يجلس في غرفة مكتبه بالطابق الأرضي ومن أمامه صديقه ومنتج أعماله «خالد» وقد كان الرجل يحاول إقناعه بالبدء في عمل سينمائي جديد؛ الأمر الذي أزعج «فارس» الباحث عن الراحة.

- أنا مش عارف إنت مستعجل على إيه بس يا «خالد»! إحنا لسه خارجين من العرض الأول امبارح.

ابتسم «خالد» الذي أخرج زجاجة فودكا من ميني بار زجاجية موضوعة في بار وسط الغرفة رغم ديكورها الإسلامي الذي يعكس الصراعات التي يعيشها «فارس» داخل عقله المريض.

- يا «فارس» يا حبيبي لازم نضرب على الحديد وهو



سخن.

قالها وهو يسكب كأسًا متجرعًا إياها بسرعة وكأنها دواء، وقد كان بالفعل، حيث كان يحتاج رجل كهذا إلى مسكنات تنسيه ما فعله ولا يزال يفعله.

- طيب مش لما نشوف الفيلم هاينجح ولّا لأ!!

تجرع «خالد» كأسًا أخرى وهو يؤكد:

- هاينجح.. الناس كلها متعاطفه معاك ومستنياك على أحر من الجمر.

ساهمت الفودكا في إظهار الحقيقة التي أغضبت «فارس» للتو.

- يعني هي تجاره مش أكتر!

تابع السكير صدقه:

- أيوه تجاره وbusiness، أمال إحنا فاتحنها جمعية خيرية؟ وبعدين ماتبصلهاش كده يا أخي، ده شغل وفاتح بيوت ناس كتير.



سكت لحظة وهو يرمق «فارس»:

- إقرا إنت بس الفيلم الجديد وابقى أحكم.

فتح «فارس» درج مكتبه المصنوع من الأرابيسك ليخرج منه سيناريو كان مفتوحًا بالفعل، ليندهش معلقًا:

- إيه ده.. إنت بدأت تقرا فعلًا في الفيلم!

- أيوه بس ماشدنيش.

قالها «فارس» وهو يرمق ديكورات مكتبه الخشبية في شرود، وكأنه يبحث بين كتب مكتبته عن مشروع يستفز موهبته.

- طيب يا سيدي كمله واحكم، ولو معجبكش أجيبلك غيره، المهم نكمل شغل...

بنظرة تجارية قالها، وهو يمسك بالسيناريو ليضعه بجانبه، ثم جلس على أريكة صوفية ملونة تتوسط الغرفة أمام تلفاز كبير موضوع أعلى منضدة حديدية مشغولة ومن خلفه منظر خلاب لحديقة صغيرة يتوسطها حمام سباحة طالما أحب «فارس» النظر إليه هروبًا من واقعه.



- يا «فارس»!!

أعاد «خالد» صديقه من شروده، ليلتف وهو يومئ برأسه قبل أن تقع عيناه على برواز وضع على مكتبه لعائلته، لأبدأ (أنا) في وسواسي ليلاحظ «خالد» الذي تابع:

- صدقني يا «فارس»، دي أحسن طريقه تنسى بيها.

يقولها ويقف تاركًا كأسه ليودع صديقه بتحيته المعهودة.

- تشاو..

خرج «خالد» مترنحًا ليتركنا وحيدين، لأواصل (أنا) حديثي إلى الرجل، معيدًا الأصوات إلى ذهنه، ليحاول «فارس» مقاومتي دون قدرة، ممسكًا برأسه في غضب، ثم لجأ إلى درج مكتبه، فأخرج منه تلك الحبوب الكريستالية ليأخذ منها قرصًا، في حين نظر نظرة إلى صورة عائلته في البرواز من أمامه ليقلبها رافضًا على وجهها، قبل أن يلاحظ من خلف الصورة هذا الظل الذي تلاشى فجأة، ليتوتر «فارس» ويقف بحثًا عن تلك الظلال دون جدوى، نخرج من مكتبه إلى صالون فيلته البيضاء والتي تعكس ديكوراتها ذوقه العصري، فالأرضية من الرخام الأبيض المستورد، حال السلم الحلزوني الذي توسط الفراغ بدرابزينه الزجاجي المتماشي مع الفتحات البانورامية في

كل مكان، بينما ظل حب «فارس» للفن الشرقي ملفتًا في استخدام السجاد، والقطع الفنية المعلقة على الجدران، والتي كادت تفتنه عما يجري!

تحرك «فارس» بخفة في المكان لتفتح الإضاءة ذاتيًّا في كل بقعة تطأها قدماه، من دون أن يجد هذا المتطفل، ولكنه سمع صوت ضحكات الأطفال للتو، فظل يلتفت كالمجنون، وهو يحدق في شخصيات لوحاته الزيتية، حتى بدأ الخوف يتملكه، فعاد إلى غرفة مكتبه ثم أغلق بابه، لينظر إلى هذا السيناريو المفتوح وقد وضعه «خالد» على مكتبه، ليمسك بنظارة القراءة ويقف متحركًا صوب أريكته الصوفية من أمام التلفاز الكبير، والذي كان يعلوه صورة أخرى لعائلته، ليهرب منها ويدير التلفاز ويجلس ليقرأ، لأبدأ (أنا) في قص حكايتي التي سمعها للتو على لسان مذيع مشهور للأخبار والذي كان بالطبع يتحدث عني.

«أما بالنسبة لقضية المتهم «طارق علوان» والمشهورة إعلاميًّا بالسجين X

فلقد حوَّل القاضي أوراقه إلى فضيلة المفتي،

بعدما اعترف الأخير في القضية التي أثارت جدلًا واسعًا للرأي العام،



خصوصًا لكتمان المتهم عن الإفصاح عن دوافعه لكل جرائمه الوحشية».

ترك «فارس» السيناريو ونظر إلى التلفاز خالعًا نظارته بعدما استطعت لفت انتباهه أخيرًا.

«كما رفض المتهم طلب محامي الدفاع، بفحص سلامة قواه العقلية،مشددًا أنه بكامل قواه العقلية، الأمر الذي قابله الشارع المصري بالتعاطف مع المتهم الذي لا يزال يخفي الكثير».

ابتسم «فارس» وعاد ليمسك بهاتفه، متصفحًا موقع البحث «جوجل» كاتبًا اسمي الذي حفظه عن ظهر قلب «طارق علوان»، لتنهال عليه صفحات الإنترنت بأخباري التي بدأت أمرها للتو داخل عقل «فارس» المريض.

حتى وسوست إليه بالفكرة لتلمع عيناه ويقوم بالاتصال بـ«خالد» الذي تركه للتو، ليجيب الأخير مندهشًا من داخل سيارته «البورش».

- لحقت وحشتك!

- الصراحه لأ، أنا عايزك في شغل.



- شغل!

ابتسم «خالد» للتو قبل أن يسمع فكرة «فارس» المجنونة، لتتغير ملامحه، ليصف سيارته على جانب الطريق في محاولة لفهم الأمر:

- قصة حياة مين يا «فارس» اللي عايز تجسدها!!

- ما قولتلك «طارق علوان»..

مندهشًا يشرح «خالد»:

- يا بني ده قتال قُتله، وبعدين ده اتحكم عليه بالإعدام خلاص....

متجاهلًا كل أوجاعه التي أخمدتها ليبحث عني، تابع «فارس»:

- بعد ما سلم نفسه، ومن غير دفاع؟

- وهاتفرق في إيه يا «فارس»؟

ابتسم «فارس» ابتسامتي الشيطانية للتو وقال:



- هاتفرق إننا هانعرف الناس الراجل ده بيقتل ليه...

من سيارته ابتسم «خالد» للتو وهو يسمع صوت «فارس»:

- اقتنعت؟

- براحه شويه عليا يا عم النجم والنبي...وبعدين إحنا هانعرف إزاي قصة الراجل ده إذا كان البوليس نفسه معرفهاش!!!

وقف «فارس» ثابتًا في المكان وبدأ يتحرك بحرية لم يكن يمتلكها:

- المبدأ يا «خالد»...

صدق «فارس» الذي تابع:

- اللي قتل وسلم نفسه بالطريقه دي، أكيد عنده مبدأ، وأكيد هايبقى عايز الناس تعرفه.

- لو كان زي ما بتقول، كان حكى للناس حكايته.



- كبرياؤه أكيد منعه يحكي لسجانه، لكن معايا أكيد هايتعاون.

صدق «فارس» مرة أخرى، ولكنه كان يجهل أني من طلبته من البداية، (أنا).

- ده إنت ناوي تحقق معاه كمان!...

علق «خالد» ليجيبه «فارس» في نخر:

- تخيل إنت كده بلغة البيزنس بتاعتك، لما تعلن عن تجسيد قصة السجين X في فيلم سينما.

ابتسم «خالد» لحظة متخيلًا الأرباح التي ستنتج عن عن هذا الفيلم بعد كتابة القصة بالطبع، ليوافق على السيناريو X.

- والفيلم ينزل يوم إعدامه....

- أو قبل الإعدام.

ازدادت لمعة المكاسب في عيني «خالد» وقد وافق من فوره ليبدأ رحلة البحث عني، بينما كنت (أنا) في تلك اللحظة داخل زنزانتي أودع الملابس البيضاء، ممسكًا بقلمي الذي جف حبره، لأكمل بيدي اليمنى وقد زادت رعشتها



منذ سجني، لأدون الآن ذكرياتي مع «أميرة» حين وعدتها كذبًا يومًا بالأمان:

- إوعي تخافي مني يا «أميرة».

- أنا خايفه عليك يا «طارق» مش خايفه منك.

فرت من عيني دمعة و(أنا) أتذكر صوتها العذب، فأمسكت بقلمي وتابعت قصتنا، قبل أن يُفتح باب حبسي للتو، ليدخل سجاني حاملًا بذلتي الحمراء التي ستلازمني من اليوم وحتى يوم إعدامي الذي سأسبقها فيه إلى البرزخ.

* * *



(٠٢)

من مكتب المقدم «هشام» كان الرجل هناك يجلس خلف مكتبه المتواضع شاردًا في قضيتي يحاول معرفة دوافعي، فلقد كان يشك فيما أخفي، ولكي أصدقكم القول فلقد أحببت هذا الرجل، فهو مخلص في عمله، لا تغريه الدنيا التي كنت فيها، فها هو سعيد بترقيته التي وفرت له هذا المكتب المتهالك داخل تلك الغرفة الصغيرة، التي تتوسطها مروحة للسقف ظلت تدور حول نفسها حال ظروفي التي ظلت تلف حولي حبل المشنقة منذ نشأتي، فلقد كان هذا مصيري وكانت تلك هي عقيدتي.

أعاد رنين الهاتف «هشام» إلى وعيه، لينتبه إلى رقم المتصل وإذ به «خالد» منتج «فارس» الفني، والذي كان يعرفه منذ شهور، فـ «خالد» واسع الحيلة كثير المعارف التي يحتاجها لكافة أعماله.

- منتجنا الجميل...إيه اللي فكرك بالعبد لله؟!..

بفضول تساءل «هشام» الذي كان قد تعافى من إصابته:

- حبيبي يا سيادة المقدم.. أنا واقع من السما وإنت



هاتلقفني.

- يا باشتنا على دماغي.. خير.

قالها وقد كان بالفعل خيرًا، فلقد كان «فارس» قد استلم الطعم بالفعل وبات يبحث عني ظنًّا منه أنه مخلصي، وإن كان يجهل أني (أنا) مخلصه بل وخالقه.

استمع «هشام» منصتًا لطلب «خالد» شاعرًا بأمل كبير، فلقد كان ولا يزال يبحث عن حقيقتي.

هذا بينما كنت (أنا) لا أزال أتلاعب بعقل «فارس» الجالس بمكتبه يحاول محاربة ما أبثه داخل عقله، حتى عاد إلى ذهنه صوت تلك الطفلة من أعلى، ليتوقف «فارس» ويتجرأ ليخرج بحثًا عن مصدر جنونه مرة أخرى، لحظات من الصمت كبت فيها أنفاسه حتى سمع للتو صوت زوجته «شهد» وهي تلاعب طفليهما، تسمر «فارس» للحظات من هول الصدمة، قبل أن يتمالك نفسه، ليسرع إلى السلم الدائري مهرولًا يبحث عن نظرة أخيرة بينما ظل صوتها يعلو شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى أعلى مقتربًا من مصدر الصوت ناحية باب غرفة أطفال، ليفتح الباب مقتحمًا الغرفة حيث وجد طفليه يلعبان، فابتسم غير مصدق تلك الهلاوس، قبل أن يسمع صوت زوجته «شهد» مرة أخرى من خلفه، فالتف إليها فرحًا قبل أن



يجدها تنهره وهي تغرز خنجراً مسمومًا في صدره صارخة:

- خاااااين.

بغضب تقولها، ليصرخ «فارس» للتو بين يدي طبيبته النفسية «هدى» التي كانت تهدئه الآن من داخل عيادتها النفسية.

- إهدى يا «فارس»، إنت عندي هنا في العياده ماتخافش.

انتبه لنفسه أخيرًا، فُجع يبحث يمنة ويسرة عن «شهد» وطفليه، ليتذكر الحقيقة، ليمسك برأسه ألمًا وغضبًا من على «شازلونج» العيادة، بينما كانت طبيبته قد جلبت له كوبًا من الماء بالفعل، فأمسك به يرتشف بخوف بعدما تأكد من جنون عقله وهو يرمق غرفة طبيبته المعالجة في حسرة.

- إنت بتاخد يا «فارس» الأدويه اللي كتبتهالك!!

اعتدل «فارس» في جلسته وهو يقول بتعب:

- هو أنا بقولك إيه وانتي بتقوليلي إيه يا دكتوره! بقولك أنا بشوف هلاوس، إنتي ليه مش سمعاني!!!



- إنت اللي مش سامعني يا «فارس»، إنت لو ماشي على العلاج هاتعرف تبطل.....

سكتت الدكتورة «هدى» لحظة، فلقد كادت تجرحه بالفعل.

- قصدي لو مشيت على العلاج مش هاتشوف اللي بتشوفه، ولا هاتسمع اللي بتسمعه.

أجابت الدكتورة في محاولة لحجب صوتي من عقله، ولكنه كان يعلم أنه أحد عناصر إبداعه.

- بس يا دكتوره الدوا ده مش بيوقف الأصوات اللي في خيالي بس، لأ ده بيوقف خيالي كله وأنا راجل فنان، لو خيالي وقف أموت!!!

صدق «فارس» بالفعل لتقوم الدكتورة «هدى» من جانبه في يأس لتجلس على مكتبها.

- يبقى استحمل وماتشتكيش من اللي بتشوفه.

يقف «فارس» منفعلًا...

- إنتي فاكرة إنّك دكتوره بحقيقي..إنتي فاشله، أنا بقالي



شهور بجيلك، وجنوني كل يوم بيزيد..

بهدوء احترافي ردت «هدى»:

- طب وإيه اللي بيجيبك هنا يا فنان؟!!

سكت «فارس» لحظة وجلس متذكرًا همه:

- عشان معنديش مكان تاني أروحله...أنا بدفعلك عشان تسمعيني مش عشان تعالجيني...أنا بدفعلك بس عشان بقدر أشتري سكوتك..

ابتسم «فارس» قهرًا وأكمل مسترسلًا:

- أنا كل الناس تعرف عني كل حاجه، مفيش مكان بروحه مابتصورش، مفيش إحساس عندي مابيتقيدش، مفيش حاجه عندي مابتشاركش، عايزاهم كمان يعرفوا اللي جوايا!...

بقوة علق، ثم نظر إليها في تحدٍّ:

- أنا بدفعلك عشان مابقاش ينفع يكون ليا أصحاب، أو يمكن مابقاش ينفع حد يعرف سري.



قالها هو لتدمع عيناي (أنا)، فلقد كنت أعرف أني في كثير من نواحي الحياة قد أكون أوفر حظًّا من هذا الممثل البائس، إذ كنت في تلك اللحظة مع من يهتم بحالي رغم محبسي، حيث كان صديقي الوحيد «ناصف» يزورني بالفعل في محبسي رغم كل القيود.

- ماتخافش يا «طارق» أنا سرك يا صاحبي.

قالها «ناصف» للتو من جانبي داخل تلك الزنزانة البغيضة والتي لا تماشى مع واقعي، وكأنها نتاج عقلي (أنا)، فلقد كنت في قلب زنزانة من الحجر القديم، يتوسطها تلك المنضدة الخشبية التي تفصل مقعدين، جلست (أنا) على أحدهما بينما «ناصف» من أمامي على الآخر، فلقد جاء الرجل لزيارتي، رغم معرفته بمصيري المحتوم.

- أنا يصعب عليا أوي أشوفك بتروح مني كده.

بانكسار أجبت.

- أنا عندي اللي أروحله يا صاحبي.

- وأنا يا «طارق».. ده إحنا اللي بينا أكتر من الدم.



رمقت الرجل لأتفقد سنواتي في عينيه، فلقد مررنا بالكثير خلال رحلتنا التي أودت بكل منا إلى حاله الآن.

- عارف يا «ناصف» وإنت مقصرتش، أنا اللي ميعاد رحلتي جيه.

- لأ يا «طارق»، هانستأنف وإنت لازم تتكلم، ولو متكلمتش إنت، هاتكلم أنا...

هددني للتو لأخسر أملي الوحيد في الموت.

- لأ يا «ناصف»، وإنت عارف ليه كويس.. ماتخلنيش أندم على اللي استأمنتك عليه...

سكت «ناصف» الذي كنت أعلم كبرياء رجولته.

- عيب يا جدع، ده أنا رقبتي فداك.

- عارف يا «ناصف»، عشان كده عايزك تدعيلي.

للحظة سكت، ثم أدركت غايتي فأكملت بقوة و(أنا) أشير بأصابع يدي اليمنى المرتعشة الإبهام والوسطى.

- وعايز منك حاجتين كمان.



- رقبتي يا صاحبي..

- تطمن إن «أميرة» ماتبهدلش.

أومأ «ناصف» برأسه موافقًا لتستكمل يدي رعشتها و(أنا) أتابع:

- والحاجة التانيه.... إنك تسمع الكلام... وماتجليش هنا تاني.

ذُهل «ناصف» غير أني أخذت أتابع رغمًا عني:

- ماتبصليش كده يا «ناصف»، إنت وجودك هنا مش هايساعدني، بالعكس ده ممكن يكسرني.... يا صاحبي....

* * *

من داخل غرفته حديثة الطراز سمع «فارس» صوت الجرس، فنظر في ساعته مندهشًا فلقد تجاوزت الثانية صباحًا، فارتدى روبه الأحمر وخرج متجهًا إلى السلم بينما ظل القادم يضغط الجرس مرارًا زائدًا من غضبه، حتى وصل ونظر عبر العدسة السحرية ليجدها «فاتن» التي ظهرت له من بعيد في العرض الأول للفيلم، جن جنون



«فارس» وفتح الباب من فوره.

- إنتي اتجننتي... إزاي تيجي هنا!!!!

قالها وهو يشدها بسرعة للداخل قبل أن يلمحها أي من جيرانه في هذا الكمبوند الفاخر بـ «الشيخ زايد».

- ما هو إنت مابتردش على التليفون ولا حتى بتيجي البيت!!

بابتسامة أجابت مستهترة بالموقف، فجريئة هي وغير تقليدية، مفعمة بالحياة، قبل أن يمتص «فارس» أغلب حيويتها.

- تقومي تتجنني وتجيلي هنا!...

مندهشًا علق وهو يغلق الباب مسرعًا.

- وإيه المشكله.. هنخاف من مراتك لسه!!

بقسوة قالتها زائدة من غمه قبل أن تصلح هي من خطئها.

- إنسى بقى يا «فارس»...أو سيبني أنا أنسيك...



بنظرة مثيرة أسرته، وهي تفتح قميصها الأبيض زرًّا تلو الآخر، حتى تملكت من غرائزه فوجد نفسه يتبعها بينما ترجع هي بظهرها ناحية السلم ساحبة إياه كالشاة لا حول له ولا قوة، فلم يعد يسيطر على أفعاله بل صارت شهوته هي ما تدفعه خلف الفاتنة، وفي لمح البصر كان هو مستلقيًا على سرير غرفته لا حول له ولا قوة، بينما أمسكت هي بزمام الأمور، مخففة من الإضاءة عدا تلك التي تجعله يرى ما كانت تخفيه، هنا زادت الموسيقى في أذنيه، أو لعلي (أنا) من فعلت!

لحظات من النعيم كادت تنسيه مأساته وماضيه فالمشهد كان رائعًا وهي تعتلي الموقف بمهارة تتنافى مع خبرتها القليلة، ولكنها كانت تصدقه الحب الكامن في جسدها الثائر، دقائق تمنى لو دامت كالدهر وهو في جنة نادرًا ما تتواجد على الأرض، هي تلك جنة العاشقين المخلصين لحبهم بأجسادهم وكل قطرة من عرقهم!!

* * *

من غرفته استيقظ «فارس» من نومه في تعب مما بذل من مجهود أرهق عضلة قلبه المكسور، لترهق عينيه إضاءة الشمس التي توغلت الغرفة من بين حصير النافذة، لينظر إلى سريره الخالي في تردد، فلم تكن هي هناك، فتوتر



جاهلًا إذ كنت (أنا) من أتلاعب في عقله، فرفع الغطاء ليتأكد من عري جسده، فزاد قلقه عن سلامة عقله، حتى وجد أمامه باب حمامه الزجاجي مفتوحًا تخرج هي منه ليراقب سلويت جسدها الممشوق في تلك الملابس المثيرة لزوجته، فتساءل مفزوعًا:

- «شهد»!!!

اقتربت هي منه في خطوات مثيرة وهي تجلس بجانبه حتى تعامدت أشعة الشمس عليها ليجدها «فاتن» ترتدي ملابس نوم «شهد»!!

- سلامة الشوف أنا «فاتن»... بس منكرش إن مراتك كان ذوقها حلو في اللانجيري...

علقت وهي تمرر يدها ملامسة القماش الذي يغطي ثدييها، ليمسك يدها في غضب صارخًا:

- إقلعي ده حالًا... ويالّا غوري من هنا....

- بس إحنا لسه مكملناش كلامنا.

قالتها بهدوء غريب وهي تقترب منه في «فاتن» ممسكة أغلى ما يملك، ليكتم نفسه ويعود ليستلقي بظهره لتعاود هي



الكرة.

* * *

في مشهد مكرر يستيقظ «فارس» من نومه في تعب مما بذل من مجهود أرهق عضلة قلبه المكسور، لترهق عيناه إضاءة الشمس التي توغلت الغرفة من بين حصير النافذة، لينظر إلى سريره الخالي في تردد، فلم تكن هي هناك، فتوتر جاهلًا إذا كنت (أنا) من أتلاعب في عقله، فرفع الغطاء ليتأكد من عري جسده، فزاد قلقه عن سلامه عقله، فذهب بنظره مرة أخرى إلى باب حمامه الزجاجي ولكنه لم يجد هذا السلويت الممشوق، فإن كررت (أنا) كلماتي فلن أكرر أبدًا أفعالي، لم يستطع «فارس» كعادته إدراك واقعه من الخيال وتلك هي عادتي أكررها رغمًا عن الجميع، لحظات أمسك فيها «فارس» رأسه وظل يحركه أمامًا وخلفًا في جنون، لا يعرف ما حدث أمس! تزداد التساؤلات في عقله، إذ كانت «فاتن» قد عبرت بالفعل أم أنها كانت مجرد هلاوس! لحظات من الأنين حتى لفت انتباهه إلى قميص نوم «شهد» الأزرق الملقى بجوارها فأدركه في تردد ثم استنشقه محاولًا البحث عنها، ولكنه شم رائحة الخوف، ففشل في التأكد مما حدث ليظل يسألني عن الحقيقة، ولكني وجهته إلى الكمود المجاور له، حيث تلك العلبة التي تحتوي على تلك الحبات الساحرة، ليزداد قرع الطبول داخل أذنيه، فعقد النية وأمسك بها

مترددًا ثم أخذ جرعته ليعود فورًا إلى الحياة، وتصمت الطبول ويعود الصمت والهدوء إلى عالمه فجأة، ليبتسم «فارس» ويستلقي سعيدًا على السرير منتشيًا في دنيا من الأحلام حتى قطع الصمت صوت رنين هاتفه، فأمسك به في هدوء حيث كان «خالد» يتصل.

- أيوه يا فنان.. تلبس بسرعه وتجيلي دلوقتي.

- أجيلك فين!

تساءل «فارس» وهو يرمق السقف في استسلام.

- مش إنت عايز تقابل «طارق علوان»؟

اندهش «فارس» عند سماع اسمي.

- إنت بتتكلم جد!

- بقولك إيه إنت ماتعرفش أنا عملت إيه.. تلبس حالًا وربع ساعة وألاقيك عندي... هابعتلك لوكشن... يالّا تشاو.

أغلق «خالد» الهاتف من أمام مكتب «هشام» الذي تساءل بشغف:



- هو أستاذ «فارس» بنفسه هايجي؟

تساءل «هشام» وهو يُعدل من ياقة قميصه عند سماع اسم نجمه المفضل.

- طبعًا هايجي.. إنت مش فاهم هو مبسوط إزاي..

أجابه متسائلًا «خالد» بصدق فلقد قام «فارس» في مكانه للتو وهو ينظر إلى علبة حبوبه والتساؤلات لا تزال تغزو عقله، ثم تذكرني للتو فقرر التحرر من هدوئه والقدوم إليَّ، وإن كان يجهل أن الجحيم بالفعل ينتظره....

فلقد كان يجهل من حقًّا (أنا)!!

* * *



(٠٣)

من داخل صالة جودو بأحد النوادي الراقية كان «ناصف» في عمله يرتدي بذلة الجودو يحاول نسيان الماضي ومتابعة تدريب بعض الأطفال الذين لا تتعدى أعمارهم عشر السنوات، جاء بهم ذووهم لتعليمهم القتال، فتلك هي الغريزة البشرية التي تبحث دائمًا عن العنف، كانوا يرتدون البِزات البيضاء ولكنهم كانوا يحثون دومًا عن الأحزمة السوداء، كان للمكان رهبة فالصالة ضخمة عالية السقف، ليشعر كل متعلم منهم بضآلته، بينما تقدمهم «ناصف» بجسده الضخم من أمامهم وكأنه إله يرهبهم بملامحه الحادة، ثم قام بحركته المعتادة في طقطقة رقبته قبل أن يبدأ الحديث:

- لازم تفهموا يا ولاد إن الجودو رياضة دفاع عن النفس مش العكس، عشان الضعيف يقدر يدافع عن نفسه، وعشان الوزن القليل يقدر يشيل الوزن التقيل.

ابتسم طفل نحيف الجسد سمته الذكاء من بينهم مقاطعًا إياه في سعادة:

- يعني أنا أقدر أشيلك يا كابتن؟



ابتسم صديقي «ناصف» وضحك ضحكته البشوشة.

- تقدر بس بالتدريب. دلوقتي تقدر باللي اتعلمته تشيله هو..

قالها وهو يشير إلى أكثرهم حجمًا، ليندهش الطفل، فلقد كان ذاك الطفل ضخمًا بالفعل للغاية، ليتوعده الأخير توعدًا أرهب جميع الأطفال، ليبدأ التدريب الذي أخذ وقتًا ليس بقليل كان فيها «فارس» على الصعيد الآخر قد استقل سيارته الرياضية بالفعل وتوجه إلى حيث أمره «خالد»، وقد كانت سيارته الفيراري لا تقل جاذبية عنه، تخطف أنظار المارة قبل أن يكتشفوا هويته ليزدادوا جنونًا تعمده «فارس» الذي كان يشبع وحدته ورفض المجتمع له في البداية فلقد بدأ بالفعل من الصفر، خاصة أنه لا يمتلك عائلة فيتيم هو منذ نشأته، بينما هو متوقف شارد بإحدى الإشارات المرورية مر بجانبه بعض المعجبين بسيارة أخرى وألقوا عليه التحية فابتسم لهم في فخر وهو ينتظر إشارة مرور عبور المشاة، فقبل أن يلاحظها هي تجلس في الخلف نتوعده أنها بالطبع «شهد» ترمقه في تحدٍّ كاد يفطر قلبه، حاول التأكد من رؤيته ولكنها كانت هي متمثلة أمامه، فتسمر خوفًا قبل أن يسمع صوت منبه السيارة التي خلفه، فانتبه إلى الإشارة المفتوحة من أمامه وخلو الطريق، فعاد بنظره إلى السيارة التي كانت بجانبه

فوجدها بريئة من رؤياه، وليس ثمة «شهد» على أي حال، فلن تعود أبدًا إلا في خياله، مهما حاول، فهناك قدريات تعجز أمامها المحاولة عكس أخرى تنجح بالإصرار، وهذا ما فعله هذا الطفل النحيف في صالة الجودو الذي ظل يتابع محاولاته في الدقائق الماضية في حمل هذا الطفل الثقيل إلى أن استطاع بمساعدة «ناصف» قلب الموازين.

- يالا حاول تاني.. وتالت.

كررها «ناصف» تشجيعًا للطفل النحيف الذي أدرك قوته الداخلية للتو مستعينًا باستراتيجية الجودو التي تساعد الأوزان الخفيفة على كسب الرهان، لينجح أخيرًا الطفل النحيف في رفع زميله وإلقائه أرضًا، رغم ضخامة جسد الأخير يصرخ فرحًا حال «ناصف» والجميع، ليظهر الجانب الخير في «ناصف» الذي كان في الماضي مثل هذا الطفل النحيف يسعى لاكتساب احترام الجميع.

- عاش يا وحوش، كده بقى فركش النهارده، وعلى ميعادنا يوم التلات.

قالها «ناصف» منهيًا تدريب اليوم غير منتبه لهؤلاء الرجال مفتولي العضلات الذين كانوا يراقبونه في صمت، والذين بدأوا يتبعونه للتو، فلم يعرف ما ينتظره حال «فارس» الذي كان يجلس الآن سعيدًا من أمام صديقه



«خالد» في مكتب «هشام» منتشيًا لمقابلتي مستهترًا بالأمور، فلقد كان يجهل أنه سيلعب أصعب دور في حياته، ولكنه بالطبع كان الدور المنشود له والذي خُلق له من الأساس، فتقمص هو ولو كره الكارهون.

- أنا حقيقي متشكر يا سيادة المقدم على مساعدتك، إنت مش متصور إنت أسعدتني ازاي..

قالها «فارس» إلى «هشام» الذي كان منبهرًا به هو الآخر.

- أولًا أنا من معجبين حضرتك.. وثانيًا «خالد» بيه أفضاله عليا كتير.

- العفو يا سيادة المقدم.

جامله «خالد» كعادته.

- ده حقيقي يا باشتنا.. وثالثًا والأهم أنا اللي متشكر ليك لأنك هاتساعدنا...

مشيرًا إلى «فارس» الذي اندهش غير مستوعب للأمر:

- أساعدكم ازاي مش فاهم!! وأساعد مين؟!..الداخلية



يعني!!

وقف «هشام» وهو يدخن سيجارته ودار حول مكتبه ثم سحب كرسيًا ثالثًا من جانب الباب ليجلس بإزاء «فارس» موضحًا:

- الداخلية بصفة عامة... وأنا بصفة خاصة.. أنا شخصيًا نفسي «طارق» يتكلم، والداخلية يهمها تطبيق العدالة قبل القانون.

ارتفع للتو صوت الموسيقى التصويرية في أُذني «فارس» الذي كان يشعر أنه يتم تجنيده من أجل «مصر».

- طبعًا مفهوم يا فندم، بس هو عفوًا يعني، حضرتك متخيل ليه إن «طارق» هايقولي اللي مقالهوش لحد بالسهولة دي!

كان السؤال يبدو منطقيًا عكس الإجابة التي كتبتها (أنا).

- عشان «طارق» كان مستني يقابلك..

اندهش الجميع و «خالد» خاصة الذي علق بفرحة لم يصبر على إخفائها فليس ممثلًا هو مثل «فارس»، وإن كان



مستطيعًا أن يخفي سره حتى الآن.

- «طارق» هو اللي مستني يقابل «فارس»!

- بالظبط كده.

أكد «هشام»، ليتساءل «فارس» مندهشًا:

- هو حضرتك بلغته يعني؟

- أيوه بلغته طبعًا، بس واضح إنه كان عارف إنك هتطلب تقابله.

صمت الجميع مندهشين قبل أن يتدخل «خالد» بتلقائية:

- أنا مش فاهم حاجه!!

ضحك «هشام» صدقًا وهو يقول:

- ولا أنا والله، عشان كده عشمنا في «فارس» بيه كبير...

وقف «هشام» مرة أخرى ونظر إلى نافذته المفتوحة:



- «طارق» كل حاجة حواليه غريبه.. بس واضح إنه لأول مرة مستعد يتكلم، بس قدام شخص واحد بس... الأستاذ «فارس».

لم يعرف «فارس» ماذا يقول ليظل شاردًا قبل أن يبث «خالد» سمه:

- إحنا عندنا بنقول إن الدور بينده صاحبه.

- وواضح إن «طارق» ندهلك يا «فارس» بيه.

ما انفك «فارس» شاردًا بينما يتحرك ثلاثتهم إلى السجن الذي نزلت (أنا) فيه منذ صدور الحكم ضدي، ركب جميعهم سيارة المقدم «هشام» الذي كان قد اتصل بالمأمور مسبقًا في محاولة منهم لحل لغز تلك القضية، وبالطبع كان كل شيء مرتبًا بالفعل، ليخترق «هشام» الطريق حتى وصل إلى تلك المنشأة القاتمة ذات الجدران الشاهقة حيث تعزل العالم عن المسجونين، تحمي كلًّا منهم من شرور الآخر، بينما كان حراس البروج يرصدون سيارة «هشام» في توعد حتى أدركوا هويته ففتحت له تلك الأبواب الظالمة، عندها انبعثت مشاعر غريبة في قلب «فارس» الذي زادت دقاته رهبة من المكان، فلم يصور أبدًا في مكان مماثل ليدرك كذب ديكورات السينما التي عجزت عن وصف قسوة الواقع، من الداخل



ترجل ثلاثتهم ليعبروا أكثر من نقطة تفتيش كل منهم بالكثير من التصاريح حيث يشكك كل مسؤول في أوراق الآخر، فهناك مسؤولية لا تُحمد عقباها إن تساهل أي منهم. لم يستطع «فارس» تحمل رائحة عرق الخوف المكان فكاد يتقيأ، وهنا يبتسم «هشام» الذي تباهى بقدرته على التماسك، دقائق قليلة مرت كالدهر حتى وصلوا أخيرًا إلى مكتب المأمور وحينها تنفس «فارس» الصعداء أخيرًا.

هذا بينما كان «ناصف» في المستشفى يحاول الهروب ممن يتبعونه، مهرولًا بخطى سريعة وصل إلى سلم الطوارئ، ففتحه بقوته التي كادت تكسره، ثم هرول نزولًا ولكن لم تساعده ضخامة جسده وقوته على مسابقتهم، فلقد كانوا هم أكثر مرونة ورشاقة، طابقًا تلو الآخر و «ناصف» يقاتل دخان صدره الذي أعاقه هو الآخر عن الاستمرار، لينظر أعلى إلى ثلاثتهم يرتدون نفس البِزات السوداء يلاحقونه مقتربين بخطى أكثر ثباتًا وعزيمة، فأدرك حينها نهاية المطاردة، نخلع حزامه ذا التوكة الحديدية والتي جسدت شكل الجمجمة، ليتوقف عند الطابق السفلي ليواجههم بقوته، وبالفعل بدأ إصابة الأول في رأسه فأمسك الثاني بالحزام، ليقترب «ناصف» منه فيسدد له لكمة قاضية أوقعته أرضًا قبل أن يشهر ثالثهم مسدسه في وجه «ناصف» الذي تسمر يفكر في طريقة ما للفرار، حتى أراحه الرجل الشاهر سلاحه من هم الفرار:



- ماتخافش يا «ناصف»، إحنا جايين ناخدك لـ «سمير السويفي»، هو عايز يقابلك شخصيًّا.

تنهد «ناصف» وأراح يديه بعدما تأكد من فشله، بينما توقف الرجل الثاني الذي لكمه منذ لحظات ليعيد إليه اللكمة غاضبًا، ليقع «ناصف» أرضًا ليتبعه الأول بالركلات.

* * *

من مكتب المأمور الحسيني جلس «فارس» يرمق ديكورات المكان، والذي كان طبيعيًّا إلى حد أنه صار غريبًا على المكان! حتى أن السجناء كانوا يشعرون بالراحة عند قدومهم هنا للتوبيخ حيث كان المكتب نافذتهم على العالم، خاصة من خلال هذا التلفاز القديم المفتوح على قناة إخبارية تنشر أخبار العالم.

- أنا متشكر جدًّا يا فندم على الخدمة دي.

قالها «هشام» في دبلوماسية، ليرد «المأمور» صادقًا:

- والله إحنا ما صدقنا إن «طارق» يرضى يتكلم مع حد، بس أنا آسف مش هاقدر أدخل غير أستاذ «فارس» بس..



- وهو ده بالظبط المطلوب.

علق «خالد» متدخلًا ليبتلع «فارس» ريقه في توتر، قبل أن يظهر فجأة شرطي من العدم، يتوقف إلى جانبه، ليظل «فارس» متسمرًا بينما يشير «المأمور» إليه:

- إتفضل يا «فارس» بيه، العسكري هايوصلك لغاية زنزانة «طارق».

زاد توتره مما سمع ما أدى إلى ارتفاع صخب الأصوات في عقله، تلك الأصوات التي يكرهها خاصة صوتي، و(أنا) أناديه كالنداهة ليقترب مني، فشجعته على أن يخطو بنفسه داخل الحبس، نخرج «فارس» مستجيبًا يتبع الشرطي وهو يقرأ ما تذكر من آيات قرآنية، بعدما عبر بابًا حديديًا آخر، لتبتلعه طرقات السجن الخبيثة بينما أصوات ضحكات الخبيثين تتلاعب في عقله، ليشعر برعب شديد وهو يخطو خطوة تلو الأخرى في طريق من اتجاه وحيد، يقل فيه الهواء النقي تدريجيًا، يشعر فيه المرء بفقدان آدميته شيئًا فشيئًا، لينجح المكان في إيصال رسالته، فيكره الجاني خطيئته، ويكره المظلوم ظالمه، ويتذكر الجميع خالقه.

توقف فجأة الشرطي عند هذا الباب الصدئ، ونظر إلى «فارس» نظرة ذات معنى، فأومأ «فارس» برأسه في



إشارة إلى جاهزيته، ليفتح له الشرطي بابي، الذي سيدخل منه «فارس» إلى عالمي الذي كنت أزرعه من قبل داخل عقله، وها هو جاء لأجني (أنا) ثماري.

في هدوء وتردد عبر «فارس» الباب الذي أغلقه الحارس بسرعة أزعجت «فارس» الذي التف ناحية الباب بطريقة تلقائية:

- ماتخافش يا فنان.

قلتها له ليلتف إليَّ من داخل محبس أفكاري المظلم، فلم يستطع تمييز وجهي في البداية، بل لفت انتباهه الحوائط الحجرية التي ظل يتأملها في قلق والعرق يغمر وجهه، ثم اندهش من تلك الطاولة الخشبية التي توسطت المكان والتي جمعت كرسيين اتخذت (أنا) من أحدهما سكنًا لي، بينما توجه «فارس» إلى الآخر ليجلس في جرأة كان يفتقرها، فنال الرجل إعجابي على ما فعل، واقتربت إليه ليلامس وجهي الإضاءة الخافتة المعتلية المنضدة، كي يتسنى له رؤيتي للمرة الأولى منذ سكنت عقله، ليفتح فاه فاغرًا إياه في لهفة العبد الذي يواجه خالقه، فاستمتعت لنظرته، والتفت (أنا) إلى يميني حيث كانت تلك المرآة المكسورة هناك، لأتذكر ملامحي، فها هو (أنا) ذلك الكهل الذي واجهه الكثير في سِنيِّه الأربعين، ليصير أعجز من سنه، أصلع الشعر، كثيف اللحية، ببنية جسدية مترهلة



منذ توقفت عن تدريباتي، لا تزال يدي اليمنى تخونني مرتعشة كلما تذكرت أفعالها، محاولة كتابة ما اقترفت من أخطاء على أوراقي المنثورة لعل الله يغفر لي، كهذا الخَطِيِّ الذي يذهب إلى قس في كنيسته ليعترف بما عصى عله يتوسط له عند الله، وإن لم يكن بيننا وبين الله حجاب ولكن يستحي المرء أحيانًا من مواجهته.

- إنت بقى «طارق علوان»؟!

تساءل «فارس» لأعود من شرودي وأنظر إليه.

- أيوه يا سيدي (أنا)، ممكن بقى أعرف إنت اتأخرت كل ده ليه؟

تعجب «فارس» قبل أن أوضح مستطردًا:

- ده (أنا) طالبك من بدري... إيه مكنتش سامعني!

ازدادت دهشته بشدة وهو يكاد ينتبه إلى صوتي الذي ميزه عقله، بينما لاحظت (أنا) تلك الموسيقى الكلاسيكية التي كانت تعمل الآن في غرفة طعام «سمير السويفي» والتي أستمتع بها وهو يجلس على رأس مائدة الطعام من مكان بعيد عن محبسي الآن داخل فيلته في «الشيخ زايد».



«سمير السويفي» هو رجل في منتصف الأربعينات، رشيق، مهتم جدًّا بنفسه، مطلَّق لكثرة خياناته الزوجية، فالنساء مصدر رزقه وسعادته، رمادي الشعر، ذو لحية مدرجة حادة كالمخروط، يرتدي بذلة كحلية تعتلي قميصًا كتب على ياقته حرفا اسمه، إنه يهتم بكل تفاصيله، حيث تناغم ساعته «الباتيك» مع إسورته «الكارتيه» الذهبية حال أزرار قميصه ونظارته الطبية. بهدوء كان الرجل يأكل بالشوكة والسكين يقطع لحم «الكارباتشيو» النيِّئ مستمتعًا بالموسيقى بينما وصل الرجال الثلاثة يحملون «ناصف» الذي تشكلت على جلده ألوان الطيف من آثار عدوانهم عليه.

- مش قلتلكوا خلوا بالكوا منه؟

بهدوء علق «سمير» دون أن يلتفت إلى «ناصف»، فأجابه أحد رجاله:

- يا باشا هو اللي قل أدبه.

- لأ، لو قل أدبه لازم يتربى، ومفيش أحسن من مدرسة «سمير السويفي» في التربية والتعليم.

- يا باشا أنا خدامك، بس والله مكنتش أعرف إنهم رجالتك.



- حتى لو معرفتش لازم تدفع التمن، ولّا إنت ناسي التمن اللي صاحبك دفعوا في «صادق»؟

أطرق «ناصف» أرضًا في صمت متذكرًا ما حدث منذ سنوات.

- عمومًا أنا قلبي أبيض وبسامح بسرعة، بس زي ما قلتلك لازم تدفع التمن.

- يا باشا أنا تحت رجلك.

- عارف.

قالها «سمير» وهو يكمل طعامه.

- تؤمر بإيه؟

- مش دلوقتي لما أخلص الغدا.

بسادية تلقائية قالها وهو يكمل تقطيع اللحم بينما ظل «ناصف» يتابع وجبة سيده في انكسار لا يعرف الثمن الذي سيدفعه لخيانتي.



* * *



(٠٤)

من محبسي أكملت حديثي إلى هذا الفارس الذي أبدعته أمامي، وهو جالس لا يفهم كلامي الروائي غير المتلائم مع قاتل، وكأن القتلة مجرد حيوانات لا تشعر! ولكن القاتل هو من يستخدم الصفة التي تميز الإنسان إنها الحكمة والعقل، فكيف نخطط وننفذ؟! هذا ما يحتاج إلى نضج خاصة عندما نوافق على دفع الثمن، ولا سيما ذاك الثمن الأثمن حين يضعوننا في هذه الأقفاص الحيوانية.

- ماتستغربش يا «فارس»، أنا أعرفك وأعرف عنك كل حاجه، بتحب إيه وبتكره إيه..

بكبرياء كاذب أجاب:

- إنت من معجبيني بقى.

- أكيد طبعًا، نجم الشاشة «فارس» الفارس....

بتهكم قلتها و(أنا) أحرك يدي في الهواء ليلاحظ «فارس» رعشة يد «طارق» اليمنى.



- إنت يا «فارس» كتاب مفتوح قدامي.

- واضح إنك قريت عني كتير.

- لأ وانت الصادق.. أنا كتبت عنك كتير.

قلتها مشيرًا إلى قلمي الخشبي وأوراقي، ثم تابعت في نخر:

- (أنا) يا «فارس» أعرف عنك اللي إنت نفسك ماتعرفوش عن نفسك... أعرف حتى اللي بتحاول تتعالج منه.

توتر جدًّا جراء ما يسمع للتو ومسح عرق جبينه، فلقد كان بالفعل فنانًا ساذجًا باطنه مثل ظاهره، فكنت أستطيع بسهولة قراءة كل ما يجول في عقله، حتى أني سمعته ينطق باسم «شهد» في تلك اللحظة:

- (أنا) أعرف كمان يا «فارس» الذنب اللي إنت عايش بيه، وأعرف الأصوات اللي إنت بتسمعها في دماغك، وحتى اللي إنت لسه بتسمعها دلوقتي.

ظهر للتو صوت قهقهة أطفاله في عقله، ليمسك «فارس» برأسه منزعجًا، لأكمل (أنا):



- إنت زيك زيي يا «فارس».. إنت عارف إنك قتلتهم.. بس الفرق إن دول مكنش يستهلوا يموتوا..عشان كده إنت بتسمع أصواتهم صح؟

استمرت أصوات ضحكاتهم البريئة تتعالى شيئًا فشيئًا، ومع ارتفاع صوت الضحكات يمسك «فارس» رأسه في توتر يصارع الأصوات، قبل أن يقع أرضًا من أمامي، بينما (أنا) أضحك على ضعفه قبل أن أخرج علبة حبوبي لآخذ جرعتي المعتادة منها، هذا القرص الساحر الذي يمزج الواقع بالخيال.

* * *

من جزيرة معزولة عن العالم في وسط المحيط، كان «فارس» مستلقيًا تحت ظلال نخلة قصيرة في استرخاء كامل مستسلمًا للطبيعة وإن كان مندهشًا من أصوت منبهات السيارات التي تظهر في الخلفية، فرفع قبعة الشمس التي كانت تغطي عينيه وظل يبحث عن مصدر الصوت، حتى وجد سفينة بعيدة فظنها هي، فهدأ وأكمل النظر إلى الشاطئ الخالي من أي حياة حالما بدأ الانزعاج يغزوه متوترًا، فحتى الجنة وإن كانت خالية تصبح جحيمًا! لحظات من التوتر العميق حتى سمع صوتها تصرخ من بعيد:



- إنت خاين يا «فارس»!

التفت «فارس» فوجد «شهد» من بعيد تقترب منه وهي ترتدي ملابس بحرية عرفها مسبقًا، زرقاء اللون تقترب بخطى مقلقة ممسكة بسكين ملطخ بالدماء، ففزع وولى هاربًا إلى عمق الجزيرة ذات العشب الأخضر، بينما كانت هي تقترب منه رغم بطئها وهرولته، فحاول الإسراع حتى وجد طفليه هناك يلعبان بالكرة وهما يضحكان، استوقفهما فنظرا إليه نظرة استوقفته، فبادرت هي من الخلف غارزة سكينها في ظهره لينزف «فارس» من فاهه فجأة ويبدأ الصراخ...

- خير يا «فارس»!!!!!

قالتها الدكتورة «هدى» بعدما استيقظ «فارس» من جلسة الاسترخاء مفزوعًا.

- ماتقلقش إنت كنت في جلسة استرخاء.

فتح «فارس» عينه وظل يرمق عيادة الدكتورة، ليجد نفسه مستلقيًا على شازلونج الدكتورة، فأمسك بظهره فوجده سليمًا، ثم سمع صوت منبهات السيارات، فتأكد مما حدث قبل أن يزداد توتر الدكتورة التي لاحظت نزيف «فارس» من فاهه، فأسرعت بإحضار مناديل



لتجفف دماءه ما زاد من قلقه على حاله.

- هو أنا حصلي إيه؟! إيه الدم ده يا دكتوره؟!

- معرفش يا «فارس»، إحنا كنا في جلستنا كويسين وفجأة إنت صحيت كده.

- أنا حلمت بالدم ده خارج فعلًا من بوقي.

توترت الدكتورة «هدى» وعلقت:

- إنت حتى الحلم بتتماهى فيه يا «فارس»؟!!

- إنتي بتلوميني أنا يا دكتورة؟ أمال أنا بجيلك ليه؟!

- طيب إهدا بس وقولي إنت شوفت إيه؟

تنهد وقام من على الشازلونج متجهًا إلى النافذة يلقي نظرة على الحديقة المقابلة في صمت.

- لما قلقتك اختار مكان بعيد اخترت إيه؟

- جزيرة بعيدة.



تفهمت «هدى» ما تخيله «فارس» فعلقت:

- إنت شوفت «شهد» صح؟

سكت «فارس» متوترًا، ثم استدار غاضبًا.

- أنا مجتش النهارده عشان «شهد» أنا جيت عشان «طارق علوان».

وقفت «هدى» وعادت لتجلس على كرسي مكتبها قائلة:

- إنت لسه بتهرب من المشكله نفسها يا «فارس».

- أنا حر.. إنتي دورك تساعديني في اللي أنا عاوزه، ودلوقتي أنا جايلك عشان خفت من اللي حصلي عند «طارق».

- حاضر بس إنت إيه اللي مخوفك بالظبط يا «فارس»؟

جلس «فارس» أمامها ثم تابع:

- معرفش هو كان فعلًا يخوف... كأنه مخاوي!

- هو إنت كنت متوقع إنك هاتقابل شخص سوي؟!!!



- فاهم، بس أنا حسيته عارفني..

بتوتر أجاب، بينما علقت هي في برود:

- إيه يعني إنت كل الناس عارفاك يا «فارس»، وعارفه عنك كل حاجه، إنت ممثل مشهور وليك محبينك وسهل أي حد يعرف عنك اللي هو عايزه.

لم يقتنع «فارس» فلقد كان يسمع صوتي داخل ذهنه بالفعل:

- لأ يا دكتور.. «طارق» عارفني فعلًا.

- مش مهم هو يكون عارفك، المهم إنت عرفته ولّا لأ.

تقولها ليشرد «فارس» وقد بدأت يده اليمنى بالارتعاش لاإراديًّا!!

* * *

خرج للتو «ناصف» من فيلا «سمير السويفي» منكسرًا بينما خرج الأخير مع رجاله إلى ذلك المستشفى الخاص، ليدخله بثقة وسط رجاله الذين رسموا له المجال، ليتجه



دون عائق إلى المصعد ومنه إلى الطابق الرابع حيث العناية المركزة، ليحاول الممرضون استيقافه، قبل أن ينتبه الجميع إلى هويته التي ظهرت بوضوح من أسلوب يهابه الكل، فمع مثل هؤلاء الرجال، لا يجب المراهنة أو التمسك بالقواعد. عبر «سمير» إلى غرفة أميرتي، وتوقف من أمام بابها الزجاجي، بينما الطبيب المناوب يراقبه من بعيد في تحفظ، حتى انتبه إليه «سمير» مشيرًا إليه ليقترب، ما تسبب بانزعاج الطبيب وخطا نحوه في توتر وهو يستعيذ الله من شيطانه، وما إن وصل إلى الرجل حتى أخرج من جاكيت بذلته رزمة بنكية بعشرين ألفًا وأعطاها الطبيب المندهش، ثم اقترب منه هامسًا:

- خلي بالك منها.

* * *

من مكتب «هشام» الجالس يدخن سيجارته في هدوء، يحاول فهم حديثي إليه، فلقد طلبت منه أن يعيد إليَّ «فارس» الذي هرب بعد أن فقد وعيه أمس، مكث «هشام» مندهشًا من جرأتي حال جرأة «فارس» الذي دخل مقتحمًا خلوة الرجل للتو.

- أنا عايز أقابل «طارق» تاني.



ابتسم «هشام» مندهشًا، ليجيب بثقة:

- و«طارق» مستنيك.

لم يندهش «فارس» الذي بدأ يتقبل اللعبة وتبع «هشام» إلى سيارته، ليصلا إليَّ قبل أن أترك قلمي، لأسمع (أنا) صوت فتح باب زنزانتي.

- كنت عارف إنك مش هاتتأخر.

جلس «فارس» في جرأة غريبة متسائلًا:

- كنت بتكتب إيه؟

- قصتنا.

قلتها و(أنا) أضع قلمي وسط أوراقي لأنظر إلى بديع خلقي.

- الفضول رجعك.. صح؟ Cest la vie، ها، تحب أحكيلك من فين؟

- من الأول خالص.



- ماشي...... أنا أبقى «طارق علوان».

قلتها وبدأت قص حكايتي التي بدأتها من صالة الجودو حينما تعرفت فيها على صديقي الوحيد «ناصف» حين كنا في تدريب قاسٍ وكان الأخير إلى جانبي وكان أكبر حجمًا مني، عندما أشار لنا المدرب باللعب ضد بعضنا البعض، فاستهتر «ناصف» بحجمي، قبل أن أباغته (أنا) وأرفعه في ثوانٍ معدودة ملقيًا به أرضًا بقوة أدهشت «ناصف» الذي حاول التملص من إحكامي له ولكنه لم يستطع لأتركه فور استسلامه، فأقف (أنا) مادًّا يدي إليه ليتقبلها احترامًا بابتسامة صداقة وهو يقف مطقطقًا رقبته:

- عاش يا كابتن.. أنا «ناصف».

- وأنا «طارق».. «طارق علوان».

منذ ذلك الحين و«ناصف» هو صديقي المخلص الذي شاركني قصتي من البداية وحتى النهاية، بكل محطاتي، وحين أذكر محطات الحياة فعادة تكون محطات من الأحزان، فقط الحياة يعبر عليها محطة تلو الأخرى، نودع عزيزًا ونخسر الآخر، نبتلي بمرض أو ابتلاء، ومن بين كل محطة وأخرى نعيش حياتنا في محاولة للنسيان، وحين أتذكر «ناصف» أتذكر محطة وفاة والدي الذي كسر بعده ظهري، ليترك لي أختي الوحيدة «جنة» لأحمل همها



ومسؤوليتها دون خبرة كافية، ورغم صلابتي إلا أني شعرت بضآلتي، وهنا في عزاء والدي كان «ناصف» إلى جواري من داخل أحد الجوامع الصغيرة بمنطقتنا في العجوزة.

- يا «طارق».. استهدى بالله، مش عشانك عشان أختك.

نظرت (أنا) إلى أختي العشرينية المتوقفة عند عزاء السيدات منكسرةً بحجابها الرقيق وجسدها النحيل، كنت أريد الهروب ولم أستطع بسبب الشعور بعجزي أمامها، فكيف لي أن ألبي طلباتها بعد خسارة والدي تلو أمي؟!

- هو ده اللي واجعني يا صاحبي، أختي كسراني.

من وسط العزاء لفت انتباهي «أميرة» صديقة «جنة» أختي، والتي صارت أميرتي (أنا)، كانت تتحرك ببساطة وتلقائية وهي تحتضن أختي.

- وهو إنت مقصر في حاجه؟ وبعدين ما إنت اللي كنت شايل أبوك وأختك.

بالطبع كنت (أنا) من تكفلت بالمنزل نظرًا لقلة معاش والدي، ولكني لم أكن أمتلك من الحكمة الكثير، أو لعل



هذا ما ظننت!

- بس كنت ببقى مطمن عليها وأنا مش موجود يا «ناصف».

- وهو أنا رحت فين يا غالي؟ هو أنا عمري قصرت؟

لم أسمعه بل ظللت شاردًا في «أميرة» من داخل عزاء السيدات.

- إنت سرحت في إيه!

- ها لا ولا حاجه.

- عمومًا أنا في ضهرك يا صاحبي.

قالها مطرقًا رأسه بينما ربّت (أنا) عليه بيدي المرتعشة.

- عارف يا «ناصف»، بس برضه إنت عارف كويس شغلنا.

تفهم «ناصف» فلم نكن نحسن عملنا، بل كنا قد تركنا الماضي للماضي وبدأنا في حياة كنا نجهل أبعادها.



- وهو شغلكوا كان إيه؟

تساءل «فارس» من أمامي مستمتعًا بقصتي، ولكني لم أكن لأريحه، فالمتعة لم تبدأ بعد.

- معاك سجاير؟

أخرج «فارس» علبة سجائر وقداحة ذهبية «ديبون» من التي تُصدر صوتًا مميزًا عند الفتح، تختلف كل واحدة عن الأخرى، لآخذها وأخرج سيجارة لأشعلها، ثم أمسكتها كعادتي من داخل بطن كفي بإبهامي وسبابتي ليرمقني «فارس» بفضول مستمتعًا، بينما بدأت (أنا) بإخراج الدخان من فمي على شكل حلقات دائرية:

- مدرب جودو وصل للفلوس اللي معايا، هايكون شغال إيه يعني!! أكيد بلطجي...

قلتها متذكرًا ماضيَّ الدسم بالتعديات، خاصة هذا اليوم الذي تعديت فيه على شخص يدعى «صادق» كنت جاهلًا لحساب من يعمل الأخير، ولكن موكلي ادعى أنه قد أخر عليه الكثير من الأموال، وكان دورنا ببساطة إعادة الحق لأصحابه بكل ما أوتيت من قوة وهذا ما فعلت. في ملهى «ميزيكال» الذي كان يفضله «صادق» يومها اتجهنا إليه (أنا) و «ناصف» لمواجهته، وكان المكان صاخبًا مليئًا



بالحراس نظرًا لقوة زواره ومكانتهم، لم أستطع كشف ديكوات المكان، فالظلمة سيدة الموقف، مع أقل القليل من الإضاءة مع انعكاسات كثيرة في المكان، فبحثنا كثيرًا عن الرجل حتى وجدناه عند البار يسكر كعادته.

- معلش يا مدير، الخواجه عايزك.

وضعت يدي على كتف «صادق» الذي أجاب سكيرًا:

- خواجه إيه دلوقتي ماتفصلنيش.

- وأنا بقولك الخواجه عايزك.

اضطرني الرجل إلى إجباره على التحرك، ليتدخل رجال أمن المكان، وعلى الفور رفعت لهم جاكيت بذلتي السوداء مشيرًا لهم إلى سلاحي، فتوقفوا خوفًا على المكان، وتركوني و«ناصف» لنتوجه إلى الحمام الرجالي، لينتظرني «ناصف» في الخارج يراقب تصرف رجال الأمن الذين بدؤوا في اتصالاتهم، لنعرف أنها مجرد دقائق معدودة قبل أن يتوجب علينا الرحيل، ولكني كنت بالفعل سريعًا، بل سريعًا جدًّا في عملي، فمن داخل الحمام كان «صادق» راكعًا أمامي وأنا ممسك بيده اليسرى أهدده بكسرها.

- أنا جاي أمضي الشيك ده وأمشي.



- مش هامضي.. هي بلطجة؟!

أبتسم (أنا) للتو، فلا أستطيع أن أنكر متعتي بعملي الذي وجدت فيه ضالتي، فلم يعلمني أبي الجودو من أجل الدفاع عن نفسي حال البقية، بل لتقنين غضبي.

- (أنا) مبسوط إنك قلت كده.

قلتها و(أنا) أكسر يد «صادق» اليسرى فلم أكن بحاجة إليها لتوقيعه، عكس يمناه التي وقع بها هذا الشيك المستحق لموكلي، لأنهي عملي في ثوانٍ معدودة، وأخرج مع «ناصف» تاركين خلفنا «صادق» يصرخ في الحمام، بينما عبرنا من بين رجال الأمن الذين عرفوا أنه ليس هو الوقت الأنسب للمواجهة، ولقد خدعتني قوتي في الاستهانة بهم، لنخرج مبتسمين متباهين بنجاحنا، حالما هممنا أن نعبر بجانب هذا الرجل الأربعيني حاد النظرات المدعو «سمير السويفي» والذي دخل الملهى للتو، والجميع يفسحون له المجال، ليدخل إلى الحمام، ليلقي نظرة على رجله «صادق» المنحني أرضًا مكسورًا، ليستنجد به الأخير، ليرمقه «سمير» باستحقار ويشير إلى أحد رجاله الذي جلب له مخدة صغيرة من الخارج، أمسكها الرجل وأخرج من جاكيت بذلته سلاحه ليضعه خلف المخدة لتكتم صوت الطلقة التي استقرت في صدر «صادق» الذي لم يعد في مكانة تسمح

له أن يكون من رجال «سمير السويفي» الذي كنت أجهله حينها وحتى تلك الساعة!!!!

* * *



(٠٥)

من محبسي ظل «فارس» يرمقني استحقارًا بعدما قصصت عليه بداية تاريخي، فوجدته ممن يستبقون الأحكام دون أن يفكر في وضع نفسه في ظروف الآخرين، فما أسهل الحكم على الغارقين من الشاطئ! هؤلاء هم من يوبخون لاعبي منتخبهم من خلف التلفاز وهم يدخنون سجائرهم مالئين بطونهم البدينة بالدهون:

- يعني إنت حابب اللي إنت بتعمله يا «طارق»؟!

لم أستطع كبت الحقيقة، فأجبت بصدق شديد، عله يفهم:

- عايز الحق ولّا ابن عمه!!

كلنا بنحب الدم، طول عمر البشر بيحبوا الدم.

حرب ورا حرب، لغاية ما اتحضرنا.

واخترعولنا الأتاري، وخلونا نستمتع بالدم عن طريق اللعب،



بس مافهموش إنهم بيربوا قنابل موقوتة في بيوتنا.

من سن الخمس سنين وإحنا بنلعب ونقول موت ده واقتل ده.

كلنا بنحب الدم يا «فارس» بس التحضر مانعنا.

كلنا بنحسد «عشماوي» على متعته اليومية وهو بيشنق كل يوم واحد بدم بارد، محدش منا بيتعرض عليه مشهد إعدام إلا وبيتفرج، وبنعمل فيها متضايقين، بس الحقيقة كلنا عطشانين.

وأنا كنت عشماوي.... وكنت مستمتع، لغاية ما اتكسرت...

- اتكسرت؟! ليه حصل إيه؟!

- هاحكيلك.

قلتها لأقص له ما لم أشاهده بنفسي، ولكني الراوي، فيتحتم عليَّ القص على أي حال، فبعد ما فعلنا في «صادق» لم يمنع كبرياء «سمير» من تمريره مرور الكرام، وها هو بعدها بعدة أيام كان يصعد عمارتي السكنية،



مع رجاله في هدوء قاتل، حتى وصل إلى شقتي ليفتحها رجاله بحرفية شديدة، حيث كانت أختي «جنة» وحيدة هناك، بريئة أكاد أتخيلها وهي تضع في أذنيها سماعة موسيقاها وهي تتراقص في غرفتها ليظل صوتها يعلو المكان كعادتها التي دأبت عليها، فبريئة هي تحب الحياة، وها هم يقتلون براءتها فاتحين عليها الغرفة، وها (أنا) أحاول ألا أتخيل ما حدث، فماذا كان شعور أختي الوحيدة عندما رمقت هؤلاء الرجال؟ بالتأكيد حاولت الاستنجاد بي، بينما كنت (أنا) أقوم بما أفهمه من بلطجة مؤمنًا بقوتي الجسمانية التي لم تساند «جنة» حين احتاجتها، بل ظلت وحيدة تناديني في خيالي حتى أني بكيت ودموعي مسحت كلماتي التي أحاول كتابتها على أوراقي، فلقد قيدوها بوحشية في حضور «سمير» الجالس ببرود في الصالون واضعًا رجلًا على رجل، يشعل سيجاره الفاخر وهو يرمقها تبكي، وأظنها لم تهب الموت ولكنها خافت أكثر على شرفها، الذي لم يكن الرجل يعرفه، ولكنها هدأت عندما شمت رائحة البنزين الذي أغرقوها به، فأتخيلها تبتسم وهي تبصر والدينا من أمامها يبتسمان إليها، وأظنها دعت خالقها تحمل الألم الذي وعد الخالق من يشعر به بالشهادة، بعدما شعرت بالعجز من الحركة وهي تشم رائحة ذوبانها في لحظات غير مسبوقة من الألم، بعدما ألقى «سمير» عليها بثقاب سيجاره، لتنعكس نيران جسدها البريء لمعانًا على زجاج عدسات نظارته الطبية ليبتسم الوغد ابتسامة استمتاع بصوت صراخ ألمها لذوبان جلدها



الناعم الذي سبقها إلى الجنة، لأصبح (أنا) منذ تلك اللحظة وحيدًا بالفعل، ليبدأ شيطاني بإمساك زمام الأمور.

- وإنت كنت فين؟

تساءل «فارس» لأتذكر عودتي مع «ناصف» إلى المنزل حين أبصرت ألسنة النيران من الشارع، فأسرعت بالاقتراب قبل أن ينفجر زجاج طابق منزلي، ويمنعني «ناصف» من التقدم، ولكني استطعت التملص منه واختراق المارة، لأصعد طابقًا تلو الآخر في ثوانٍ معدودة حتى وصلت إلى طابقي الخالي من البشر، ولكني أكاد أجزم على رؤية ما تبقى منها من بعيد وسط النيران، وما كسرني أني لم أستطع التقدم من حرارة النيران فشعرت بعجزي و(أنا) أركع أرضًا بعدما مات آخر ما كان يقيد غضب شيطاني المارد.

- يعني معرفتش مين اللي عمل فيها كده؟

لم أجب، فبالفعل لم أكن أعلم في تلك اللحظة أنه «سمير السويفي» بعد.

- يا «طارق»!!

كررها «فارس» ولكني لم أكن أستطيع إكمال تلك



الجلسة بعد، فلقد كنت أشعر بحرارة تلك النيران في محبسي الآن.

تركني «فارس» وطرق على باب الزنزانة وهو يلمح بوادر نيران غضبي التي لم تطفئها دموع عينيّ، ليفتح له الشرطي ويخرج لتعيده تلك الممرات إلى العالم شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى مكتب المأمور حيث كان «خالد» قد حضر في فضول لينتظر مع المقدم «هشام» عند «المأمور».

- ها.. طمنا عرفت حاجه؟

تساءل «هشام» فلم يجبه «فارس» الذي أخذ مفاتيح سيارته وغادر المكان في صمت ليناديه «خالد»:

- يا «فارس»!!

لم يستجب «فارس» بينما تفهم «هشام» أكثر ما قد يكون قد واجهه الرجل في الداخل، فاستأذن من «المأمور» وتبع «فارس» ليخرج به من جحيم السجن، ليظل «فارس» صامتًا حتى وصل إلى سيارته التي صفها عند مكتب «هشام» الذي تركه إلى حال سبيله بينما ظهر الضيق على «خالد» الذي لم يأخذ مصلحته بعد، فعمد يسأل «هشام»:



- هانسيبه كده؟

- أكيد مقابلة «طارق» كانت دسمة، ده قتال قُتله، يعني أكيد مش سوي نفسيًّا.

أجاب «هشام» في تفهم يجرحني، قبل أن يضيف «خالد»:

- طيب هاستأذنك أنا، وهامشي وراه وهاحصله على البيت.

- تحب آجي معاك؟

- ماتحرمش يا «هشام» بيه كفايه تعبك.

قالها وبدأ «خالد» يتبع سيارة «فارس» الذي كان شاردًا في قصتي، غير منتبه للطريق، في حين ظلت كلماتي تتلاعب بعقله، لحظات من التأمل حتى بدأ يدرك واقعه ليعدِّل مرآة سيارته الأمامية، قبل أن يجد حرف X مرسومًا عليها ببخار أنفاسه، فيندهش ويقوم بمسحه بيده، قبل أن يجدها تبتسم له في المرآة، إنها «جنة» ترقبه محترقة على الكنبة الخلفية للسيارة، ليفزع «فارس» من هول هيئتها بينما زاد من هلعه رائحتها الكريهة التي بدأت تفوح في سيارته مخلوطة برائحة البنزين حتى كاد يختنق، ليمسك



«فارس» بأنفه وهو لا يزال يرمق «جنة» في المرآة، ثم فقد وعيه تاركًا مقود سيارته التي انقلبت للتو على مرآى من «خالد» الذي كان يتبعه من بعيد.

انتبه الجميع حول «فارس» وهو لا يزال محاولًا إدراك تلك الدوامة التي دخل فيها بسيارته، لا يفهم ما حدث! بينما بدأت رائحة البنزين تصل إليه بالفعل، فلقد بدأ يشعر بسيلانه من حوله ليشعر بمصير «جنة» وعجزها عند سكب البنزين عليها، ليعاود النظر إليها فوجدها قد اختفت بعدما أرسلت (أنا) رسالتها، ليحاول «فارس» بصعوبة التحرك من أسفل سيارته المنقلبة رأسًا على عقب بينما ساعده الأدرينالين على فهم أولوياته من الهروب من هذا الجحيم، قبل المطالبة بدعم كسوره وكدماته، حتى فشل «فارس» تمامًا واستسلم مثل «جنة» متذكرًا صراخها الذي مررته بوصفي الدقيق إلى عقله الذي أعطى للتو أمرًا لجسده بفقدان الوعي هروبًا من الألم، قبل أن تمتد إليه يد العون متجسدة في «هشام» الذي أوجدته في تلك اللحظة الأخيرة قبل اندلاع النيران في السيارة.

دقائق كثيرة من القلق غفلت عنها وهم ينقلون «فارس» فاقد الوعي إلى المستشفى المجاور للحادث والذي ظل به ساعات طويلة بعدها تحت الملاحظة ليعود الفضل لي لإرسالي لهم في الوقت المناسب.



- والله وجود حضرتك في المكان كان معجزة، أعتقد لو كنت اتأخرت في نقله كان ممكن مانلحقوش.

علق طبيب الطوارئ مندهشًا، ليجيب «هشام» في تواضع:

- والله ده نصيبه، أنا معرفش كنت قريب ازاي، أول ما الأستاذ «خالد» كلمني لاقيت نفسي عنده.

- ده من رحمة ربنا عليه.

- طب هو أخباره إيه دلوقتي يا دكتور؟

تساءل «خالد» مقاطعًا حديثهما الإنساني، ليطمئنه الطبيب:

- الحمد لله لحقنا النزيف، وده المهم، الباقي كله كدمات.

- يعني ممكن يخرج؟

- بمجرد ما نطمن على تحاليله مش أكتر من يوم أو اتنين بالكتير إن شاء الله.



- وما له يا دكتور، وأي طلبات النجم يحتاجها أنا موجود، بس الله يكرمك يطلع بسرعه، ده «فارس» فاتح بيوت وإحنا عندنا شغل كتير متعلق بيه.

بانتهازيته المعهودة علق «خالد» الذي كان يبحث عن مصلحته فقط والتي لاحظها «هشام» الذي رمقه باشمئزاز حال الطبيب الذي علق:

- الأهم صحته.

- أنا مقلتش حاجه يا دكتور بس يعني لو اطمنا يبقى خلاص.

- أكيد إحنا مش هانقعده في المستشفى على الفاضي، ويا ريت دلوقتي حد ينزل معايا يملا الورق لو مفيش حد من عيلته موجود.

- آمين يا دكتور، إتفضل حضرتك وأنا وراك طياره.

تحرك الدكتور الذي لم يسترح إطلاقًا إلى سوقية «خالد»، غير أن الفضول قد تملك «هشام» الذي حركه حسه الأمني ليسأل عن حالة «فارس» الاجتماعية.

- هو «فارس»... ملوش..؟



قاطعه «خالد» الذي تفهم سؤال «هشام» دون أن يكمل، ثم تابع:

- لأ للأسف، ملوش حد خالص، كل اللي عنده راحوا في اليوم الأغبر ده.

- سبحان الله! محدش عنده كل حاجه.

- حقيقي يا سيادة المقدم، واللي شافه «فارس» قبل كده مش سهل..

قالها وهما ينظران إلى «فارس» من خلف باب غرفته الزجاجي حيث كان في عالم آخر من الأوهام يتذكر ما حدث له مع «شهد» منذ عدة شهور عندما أصرت على قيامهم برحلة صيفية مختلفة.

- وفيها إيه يعني لما نروح «البهامين» شهر، ما إنت ربنا كارمك ومعاك فلوس بزيادة.

قالتها «شهد» حينها إلى «فارس» من داخل غرفة نومهما، بينما كانت هي ترتدي قميص نومها الأزرق، وقد كانت «شهد» شابة حسناء، تمتع بكل ما يسعى إليه المرء، فهي رقيقة الملامح، مهندمة المظهر، بيضاء البشرة،



طويلة القوام، ذات عينين خضراوين، وقد كانت زميلة «فارس» منذ دراسته بالمعهد، وشاركته كل مشواره الفني من الصفر، الأمر الذي جعله يفقد بريقه أمامها، فلم تعد تنبهر به حال معجبيه، رغم أنه صار فارس أحلام الفتيات، إلا أنها كانت هناك من البداية حين كان هو مجرد ذلك الصعلوك المشرد، تلك النسخة التي حاول «فارس» مرارًا نسيانها، ولكنها ظلت تذكره بها، فرغم تفوقها دراسيًّا عليه، إلا أنها لم تصل إلى ما وصل إليه، لتظل هي تلومه نفسيًّا على فشلها، وصار هو الشماعة التي علقت عليه دومًا عدم قبول الجمهور لها، لذا كانت دائمًا تتباهى بما تمتلك هي ويفتقر هو، وقد كانت تمتلك العزوة، فكانت كثيرة التفاخر بعائلتها وأبيها متناسية يتم «فارس» وضعفه وقلة حيلته، فلقد كان حساسًا رقيق المشاعر، كان بالفعل فنانًا.

- أيوه يا «شهد»، بس أنا عندي شغل كتير لسه، وإنتي عارفه.

- طيب ما أنا بقولك يا «فارس» هانسبقك إحنا وإنت تحيلنا.

ظهر الضيق على «فارس» الكاره للطيران:

- هاسافر كل ده عشان أجيلكوا أسبوع بس؟!



- ما إنت اللي ظروفك كده، إحمد ربنا إننا صابرين يا «فارس».

- صابرين على إيه يا «شهد»؟! إنتي مش فاهمه إنتي متجوزة مين؟!

بأحقية قالها، ولكنه كان يجهل حقيقة نفسيتها الضعيفة، لترد له هي الصاع صاعين:

- «فارس»... أنا مش واحده من جمهورك عشان تعجب بيك، أنا مراتك ومعاك من وانت طالب في المعهد، مش مطلوب مني أنبهر وأسقف كل يوم بمشاهدك العظيمة، أنا دوري عملته من زمان.

النهارده دورك إنت، إنك تحافظ على البيت ده، وتحافظ على المستوى اللي إحنا عايشينه، مش لازم ولادنا يعيشوا اللي إحنا عشناه زمان، خليهم ينسوا زي ما إحنا نسينا.

هكذا دائمًا هي قسوة النساء حين يخدش الرجال كبرياءهن، وبالرغم من كونه ليس ممن يجرحهن، بل فقط كان يحب التعبير:

- مش عايز أنسى يا «شهد»، بالعكس أنا نفسي أفتكر،



نفسي أفتكر لما كنا أصحاب، نفسي أفتكر لما كنتي من جمهوري، وأيوه يا «شهد» أنا نفسي أشوف نظرة انبهارك بيا.

بصدق وانكسار عبر «فارس» عما كان يدور في رأسه ثم تركها وخرج في ضيق، ينتظر أن تستوقفه، فتحرك ببطء علها تشفق عليه! فلقد ترك «فارس» منذ البداية، وصار يحاول الإفصاح عن آلامه وأوجاعه، كان يحاول مرارًا وتكرارًا أن يوضح لها ما يحتاج، حاول كثيرًا التعبير بأكثر الطرق تحضرًا وهو الحديث، ولكن ظلت الكلمات معلقة بينهما لا تصل إلى آذانها، ليحاول عقل «فارس» المريض مؤخرًا تعطيل جسده، عله يقع يومًا مريضًا فتشفق «شهد» عليه ليشعر بحبها الذي ظل عمره يتمناه وينتظره، وأنَّى له ذلك! ولكن كبرياؤها كان دائمًا وأبدًا حاجزًا بينهما، لم يستطع أبدًا امتلاك القوة لكسره، ولم يكن يعلم سر فتح بابه، فظل خلفه يصرخ دون فائدة، وها هو الآن يخرج منكسرًا من المنزل دامع العين يفتقد جزءًا آخر من رجولته، فقط ينتظر أن تجبر خاطره وتناديه، ولكن حالها كان حال معظم النساء، ففضلت تجاهله، تعرف أنه سيعود، ولكنها جهلت أنه لن يعود كما كان، فمعظم الرجال يرفضون الاستسلام للانكسار، باحثين عن الإصلاح، وكما أن النساء هن السبب الرئيسي لكسر الرجال، فهن دائمًا من يمتلكن الترياق.



تحرك «فارس» بسيارته في شرود يستمع إلى الراحلة «رجاء بلمليح» يحاول تذكر حقبة معينة من النوستالجيا، فخرج من حيه الفاخر وعاد إلى حيه القديم، باحثًا عن ذكرياته، ولكنه انكسر عند وصوله، فلم يجد أيًّا من ماضيه هناك، فقد تمدَّن وتحضَّر تحضرًا أزال معه تاريخ «فارس» القريب، فلم يعد شارعه كما كان، ولا عقاره الذي ولد فيه موجودًا، فتوجه ناحية ذلك المقهى الذي كان يهرب إليه من المعهد، فوجده قد مات بالفعل وولد في مكانه كافتيريا فاخرة، لا تمت إلى ذكرياته بصلة، فشعر في لحظة بعمره بل وعجزه! فها هو للمرة الأولى التي يلاحظ أنه رجل في متوسط العمر، لديه الكثير من الذكريات بل والحكاوي التي باتت يمتلكها ولا يجد من يسمعها، فقصصه صارت قديمة بالفعل، لا يجد من يشاركها معه، حتى لزماته ونكاته لم يعد يفهمها الكثير، فظل يتابع مطربته المفضلة ساعة تلو الأخرى؛ رجاء أن تطلبه «شهد» ولكنها كانت تنتظر حديثه هي الأخرى، ليخسر كل منهما فرصته ويجد «فارس» نفسه عند «ميزكال بار»، ليترك سيارته إلى الأمن الذي حياه فرحًا، فتذكر حينها هويته وأخرج من سيارته نظارة سوداء يهرب خلفها من المتطفلين، ثم دخل إلى هذا المكان الذي زرت (أنا) فيه «صادق» مسبقًا، ليخلع معطفه معطيًا إياه إلى موظف الاستقبال الذي أوصله إلى البار ليبدأ «فارس» في النسيان، ثم ينادي في طلب مشروبه المفضل «bloddy mary»، ثم تابعه بشراب أكثر قوة، كأس تلو الأخرى، دون أن يتعطل



عقله كما يحتاج وهو يراقب هاتفه الخالي من أي مكالمات واردة، فذكرته للتو بما في جيبه، ليخرج علبة هذه الأقراص المحببة إلينا، ليفتحها وهو يرمق تلك الأقراص قبل أن يأخذ جرعته:

- هو إنت يا نجم لما تلبس نضارة شمس بليل مش هانعرفك يعني؟

التفت «فارس» مندهشًا للتو، ليجد تلك الفاتنة «فاتن» من خلفه وقد كان هذا لقاءهما الأول، وكما ذكرت مسبقًا بالطبع لم يكن الأخير:

- أنا الصراحه مش عايزه أتطفل عليك، بس أنا بجد من أشد معجبينك.

ابتسم «فارس» وخلع نظارته ليتأمل جرأتها التي تزيد من جاذبيتها لتتساءل هي:

- أفهم من كده إني ممكن أقعد جمبك؟

- يا ريت.





(٠٦)

استيقظ «فارس» بعد ساعات طويلة من غيبوبته على نسيم النور الذي يلامس وجهه في الصباح كالمعتاد وإن كان مصدره اليوم مختلفًا، فتح عينيه يحاول استيعاب المكان فقد كانت رؤيته مشوشة، والصورة ضبابية، فظن نفسه في قبره لذا ظل يتمسك بتتبع النور، حتى أخذت الرؤية في الاتضاح شيئًا فشيئًا، مكتشفًا صوت تلك الأجهزة من حوله، فعاد لرشده منتبهًا إلى مكانه في المستشفى، فاعتدل في جلسته في توتر قبل أن تؤلمه الكانيولا التي سحبها في جنون من يده بطريقة هيستيرية، ليعمل صوت جهاز الإنذار عند الممرضين، الذين انتبهوا بدورهم إلى ثورته، فأخذوا يهرولون ناحية غرفته، ليندفع ناحيته اثنان منهم في محاولة لتهدئته، إلا أنه تابع كالثور الهائج في الإطاحة بهما بقوة غريبة، حتى خرجوا من شعورهم وتكالبوا عليه، ليقابلهم «فارس» بنفس القوة ولكن بعنف شديد وأسلوب قتالي كان يجهل مصدره! ضاربًا الأول ثم الثاني بلكمات احترافية، ثم لاحظ وجود أداة حادة على المنضدة فأمسكها بتلقائية ووجهها ناحية ثالثهم حتى كادت تخترق عينه الدامعة رعبًا مما يفعل «فارس» الذي لاحظ أخيرًا رائحة الخوف تنبع من الرجل المسكين، فانتبه إلى ما يفعله لتبدأ يده اليمنى في



الارتعاش، ويتوقف متقهقراً إلى الخلف تاركًا الأداة لتقع أرضًا، بينما هرع الممرض هربًا من الغرفة إلى الخارج لينتشر الخبر في أرجاء المكان كالنار في الهشيم؛ الأمر الذي استوجب تدخل «هشام» وبدوره قدم مخصوصًا مع «خالد» ليحاول امتصاص الموقف قبل تدخل الصحافة:

- خلاص حصل خير يا دكتور.

قالها «هشام» لأحد الأطباء في استقبال المستشفى، ليجيب الرجل غاضباً:

- يا فندم في اتنين ممرضين اتعوروا، وزي ما قلت لحضرتك أنا ملزم أبلغ.

- وأنا بقولك حصل خير، وبعدين هو إنت مش شايف بتكلم مين!

اعتبر نفسك بلغت.

بقوة قالها ليتراجع الطبيب مردفًا:

- طيب والأوضه اللى اتكسرت؟

- أي حاجه حصل فيها تلفيات، أنا مسؤول عنها.



علق «خالد» رغم بخله، فلقد كان في حاجة ماسة لـ»فارس»،

- أظن كده خلاص يا دكتور.

أضاف «هشام» ليستسلم الطبيب:

- حاضر بس تغادروا حالًا إذا سمحتوا.

- حاضر.

غادر الطبيب ليستريح «خالد»، بينما ساورت «هشام» بعض الشكوك ليسأل:

- هو «فارس» عنيف كده يا «خالد» بيه؟!

- أبدًا والله يا سيادة المقدم، ده حتى مابيتعصبش، إلا...

تذكر «خالد» للتو ما يدفع «فارس» للجنون ولكنه توقف عن الإفصاح له، ليزيد من شك «هشام»:

- إلا إيه يا باشتنا!



- قصدي يعني يمكن من حادثة امبارح.... يالّا بينا نخلص قبل ما الدكتور يبلغ الصحافة.

كاذبًا أجاب دون أن يهضم «هشام» حديثه، ولكنه أخفى شكوكه وتابع الإجراءات حتى انتهيا، وتوجها سويًّا إلى غرفة «فارس» الذي كان في انتظارهما بطريقة غريبة، فعندما دخلا كان «فارس» قد أنهى ارتداء ملابسه المتسخة من الحادث حتى أنه كان يربط رباط حذائه بينما الأصوات تلاحقه داخل عقله تدفعه للخروج والعودة إليَّ:

- ماتخافش على فلوسك يا «خالد».

قالها «فارس» من فوره عند دخول «خالد» و«هشام» رغم عدم النظر إليهما، فلقد كان معطيًا ظهره لباب الغرفة، فاندهش «خالد»:

- أفندم!!

حاول «خالد» أن يستفهم بينما كنت (أنا) داخل عقل «فارس» أقص له الأحداث حتى يحسن التصرف، فالتف إليهما وقال كالملبوس:



- أنا مش غبي، أنا بسمع كل حاجه.

ظل «هشام» يراقب «فارس» في فضول صامتًا، ليتابع الأخير:

- ماتخافش يا «خالد» على اللي دفعته لغاية دلوقتي، فلوس المستشفى على حسابي أنا.

- لأ يا حبيبي مش القصة.. فداك طبعًا.

كاذبًا علق «خالد» الذي اطمأن على استثماره.

- لأ، مفيش حاجه فدايا يا «خالد»، ده شغل، والشغل مايزعلش.

- طيب يعني هانكمل يا صاحبي؟

أجاب «خالد» بأسلوبه الانتهازي الذي أدهش «هشام» حتى تدخل «فارس» ليفحمه:

- هانكمل... بس أنا مش صاحبك...

قالها «فارس» وسبقهما مغادرًا الغرفة في تشافٍ غريب بعد حادثة كتلك!



- ماشي يا «نجم».

علق وهو يتبع «فارس» في ردهة المستشفى دون أن يجيب، بل ظل يتابع خطاه السريعة متوترًا، فلقد كان «فارس» يسبقهما كمن يسعى إلى ثأر ما، فأخذ «خالد» يتابع مصلحته:

- طب إيه.. هانروح لـ «طارق» إمتى؟

لم يجب «فارس».

- طيب رايح فين يا نجم؟.... مفيش تشاو طيب؟..

تساءل «خالد» ولكني كنت كتبت لـ «فارس» أمرًا بتجاهل هذا الأرعن، ليتركه ويرحل بينما أظل (أنا) في محبسي أتابع كتاباتي، لأعاود وضع «فارس» على الطريق حتى وصل إلى مكان لم يتوقعه أحد، فلقد كان «فارس» الآن يبحث عن بقايا حكايتي التي توحد فيها، فلقد كان هذا الممثل الذي عرف أن شخوص فيلمه الذي يقرأه أحياء يرزقون، فصار يبتغي لقاءهم في فضول فني غريب، وها هو «فارس» الآن داخل صالة الجودو، يرمق هذا الفريق الصغير من الأطفال الذين اندهشوا من وجود نجم السينما المصرية يتابعهم من بعيد، فهرع أغلبهم

ناحيته ملتفين حوله في سعادة بالغة، ليخرج كل منهم سلاحه الذكي ليلتقط صورة مع النجم، بينما من بعيد ظل «ناصف» يرمق المشهد في قلق وتساؤلات إلى أن تقدم «فارس» ناحيته منبهرًا حتى ظنه «فارس» متنمرًا، ولكنه كان بالفعل معجبًا بتلك الشخصية التي قرأها من وصفي، ليقدم يده ليصافحه متسائلًا:

- كابتن «ناصف»؟

تعجب «ناصف» من معرفة النجم لاسمه ومد يده للمصافحة في شك وريبة! ليبدأ اللقاء بين شخصيات الرواية، من داخل ناديّ الرياضي المفضل، أخذ «فارس» يجيب على تساؤلات صديقي من بين ممرات النادي:

- أنا حقيقي مش فاهم يا أستاذ «فارس» سبب تشريفك للعبد لله.

ظل «ناصف» يسأل بينما هما يجوبان ممرات النادي، ليوضح «فارس»:

- عايزك في شغل.

- شغل إيه يا فنان؟ أنا مجرد مدرب جودو.



تغافل «ناصف» عن تاريخه معي، ليبتسم «فارس» الذي عرف سره:

- ما هو عشان كده أنا اخترتك، أنا عايزك تبقى معايا علطول.

- يا بيه أنا مابفهمش في السيما سيادتك.

ضحك «فارس» وأوضح:

- عارف ماتخافش، أنا عايزك بودي جارد.

توقف «ناصف» فجأة في الطريق والتف غاضباً:

- آه.... فهمتك يا بيه، واضح إن اللي دلك عليا، كان عارفني من أيام الشقاوه.

علق «ناصف» متذكراً تاريخنا، ثم تابع:

- بس للأسف أنا خلاص رجعت من السكه دي، أنا خلاص يا بيه عايز لما أريح راسي على مخدتي أعرف أنام.

- وهو أنا قلتلك إني عايزك في مشاكل؟ أنا عايزك تحرسني.



حاول «فارس» توضيح كذبته، فلقد كان يسعى خلف شيء آخر، كان يسعى دائمًا إلى ما أمتلك ويفتقر، فلقد حسدني على صداقتي من «ناصف» في جلستنا، رأيت حينها تلك الشرارة الغاضبة و(أنا) أتحدث عن الصديق الذي لم يمتلك «فارس» مثله قط، فلقد حرمته شهرته الكثير من المشاعر الحقيقية، فظل أسير أدواره والأضواء، أغلب من حوله يبتغون التصوير مع هذا الممثل متناسين الإنسان الذي بداخله، حالهم حال «خالد» الذي كان دفع له أتعاب المستشفى من أجل سر ظل يبحث عنه، ولكن «ناصف» لم يدرك هذا وظن «فارس» يبحث معه عن المشاكل، فأجاب:

- ما هي دي بداية المشاكل يا «فارس» بيه، معلش إعفيني أنا، أكيد هاتلاقي جاردات كتير، أما أنا فمدرب جودو.

- ده آخر كلام؟

- إن شاء الله يا باشا.

- مش مشكلة cest la vie

ابتسم «ناصف» مندهشًا من التعبير الفرنسي الذي كنت



أُكثِر استخدامه، بينما حاول «فارس» التقرب من الرجل بصورة مختلفة:

- طيب حيث كده، تسمحلي أشكرك على وقتك وأعزمك على الغدا، ولّا دي كمان هاتكسفني فيها؟!

ابتسم «ناصف» فرحًا وبادر بشهامة:

- لا اسمحلي بقى، إنت في أرضي، ولو هانال الشرف ده، يبقى العزومه دي واجب عليا، ومايغركش المنظر، الجيب عمران والحمد لله.

قالها مشيرًا إلى جيب طقمه الرياضي، ليبتسم «فارس» فرحًا وهو يقول بلهفة:

- أعتبر دي صداقه يعني؟

- يا سلام ده إحنا ولاد بلد وجدعان أوي يا فنان، بس تسيبلي نفسك.

لم يفهم «فارس» ليستفهم ويوضح «ناصف»:

- يعني تسيبك من أكل النجوم، وتيجي ندبّها.



- ندبّها!!

تساءل «فارس» ليبتسم «ناصف» معلقًا:

- مش بقولك سيبلي نفسك؟

- خلاص اتفقنا.

بسعادة مد «فارس» يده إلى «ناصف» الذي صافحه بشكل رياضي مميز كما كان يفعل معي، ليتذكرني بالفعل للتو، ويتجها سويًا إلى مطعم النادي، ليعيش «فارس» ساعات من السعادة الفطرية التي تناساها منذ سنوات طويلة، وهو يأكل أكلة شرقية دسمة ستكسر بالتأكيد نظامه الغذائي، ولكنه كان اليوم في عيد يكسر فيه كل الأعراف، فلقد كان يأكل بكلتا يديه دون انتباه لمركزه؛ الأمر الذي لفت انتباه معجبيه الذين حاولوا أخذ بعض الصور معه بينما هو ملطخ اليدين ضاحكًا ببساطة كان يحتاجها، حتى أتى هاتفه اتصال من طبيبته النفسية «هدى» ليتسمر لحظة قبل أن يتدخل «ناصف» وهو يطأطئ رقبته قائلًا:

- لو تليفون مهم ممكن أخلع نفسي يا نجم.

- بالعكس يا صاحبي، دي مكالمه أنا مش محتاجها



النهارده.

بصدق أجاب «فارس» الذي كان يدفع لطبيبته فقط لتسمعه، واليوم كان هناك من يسمعه دون مقابل.

- طيب ننزل بالبسبوسه بقى.

- إنت كده ناوي تجيبلي السكر يا «ناصف».

- يا نجم ماتقلقش الأنسولين يحضر فورًا.

بخفة دمه المعهودة علق «ناصف» ليكملا ضحكاتهما من القلب بينما (أنا) هنا وحيد في محبسي، ليزداد غضبي وغيرتي، ويجن جنوني وأبدأ بالصراخ:

- هو النجم فين؟!!! أنا مش هافضل مستنيه كتير، يسيب اللي في إيده ويجيلي هنا فورًاا!.

ناديت «فارس» بكل ما أوتيت من قوة، قبل أن أنظر إلى علبة أقراصي المفضلة لأخرج منها جرعتي المعتادة راجعًا إلى صوابي أخيرًا، مستعيدًا قواي، لأعاود إلى همسي داخل عقل «فارس» المريض والذي سمعني من جانب «ناصف» للتو:



- أنا للأسف لازم أمشي.

علق «فارس» من مطعم النادي وهو ينظر إلى هاتفه الخلوي، ليضيف «ناصف»:

- والله الوقت جري معاك يا نجم.

- أنا اللي مش مصدق كمية الأكل اللي كلته ده! الله يسامحك.

- هايسمحني ملكش دعوه، بس إنت إبقى تعالي تاني.

ضاحكًا قالها «ناصف» الذي كان قد تعلق ببراءة «فارس» بالفعل:

- هاجي والمره اللي جايه عندي.

نهض «ناصف» فرحًا:

- هو هايبقى في مره تانيه؟!

- أكيد يا صاحبي.

قالها وهو يصافح «ناصف» بالأسلوب الرياضي الذي



أحبه، ثم تحرك قبل أن يلتف:

- تليفوني معاك يا «ناصف».. يا ريت تكلمني.

ابتسم «ناصف» بعد مغادرة «فارس» مطعم النادي، ليعود «ناصف» ليجلس شاردًا قبل أن يقترب من يجلس بجانبه، فالتفت عن يمينه ليجده «سمير» يدخن سيجارة في هدوئه المعتاد ليسأل:

- كان عايز منك إيه النجم يا «ناصف»؟!

* * *

من مكتب «المأمور» كان «فارس» قد وصل للتو مع «خالد» و«هشام» اللذين صاحباه إلى الداخل، كل منهما لسبب مختلف عن الآخر، ولكني لم أُنادِ غيره صاحب الدور الذي اخترته دون غيره، إنه الفارس:

- جيت في وقتك يا «فارس» بيه.

قالها «المأمور» بعد الترحيب، ليعلق «فارس»:

- آسف لو اتأخرت.



- إنت ماتأخرتش عليا، إنت اتأخرت عليه هو.

أضاف «المأمور» موضحًا، ليستفهم «فارس»:

- «طارق»!!

- أيوه «طارق» الراجل عامل فضيحة، ولا كأننا شغالين عنده!

علق «المأمور» في غضب مما فعلت، ثم تابع وهو ينظر إلى «هشام»:

- أنا لولا تدخلك يا «هشام» بيه مكنتش هاسمح بكل ده.

- معلش يا فندم، زي ما قلت لسعادتك، «طارق» عنده معلومات كتير هاتفيد الداخلية كلها لو اتكلم.

بكذب ملحوظ تدخل «فارس» معلقًا:

- معلومات إيه يا «هشام» بيه!! ده كان مجرد بلطجي.

ابتسم «خالد» بمكر شديد وهو ينظر داخل عيني «فارس» قائلًا:



- وهو لو مجرد بلطجي، إنت مهتم بيه كده ليه؟!

سكت «فارس» الذي كان يمقت «خالد» مؤخرًا خاصة بعد مقابلة «ناصف» ليتدخل «هشام» بتوجيهاته الأمنية:

- معلش اسمعني كويس يا «فارس» بيه، «طارق» لو ارتاحلك واتكلم، هاتعرف إنه مش مجرد بلطجي، عشان كده عايزك تنزل البرنامج ده على تليفونك.

أشار «هشام» إلى برنامج تسجيل على هاتفه ليتوتر «فارس»:

- تسجيل!!

- أيوه، منه عشان إنت ماتنساش حاجه ومنه عشانا.

- بس..

ظهر الاعتراض على «فارس» ليزيد «هشام» من حدة صوته موضحًا الحقائق:

- مفيش بس، أنا ليا تاريخ مع ناس كتير من اللي «طارق» صفاهم... أنا اتنقلت المباحث مخصوص



عشان أكمل الخيوط اللي ناقصاني، «طارق» والناس اللي كان شغال معاهم، كانوا بيخاطروا بالبلد، وأنا هنا جاي بصفة رسمية عشان أعرف أوصل لحاجة.... واسمحلي يا «فارس» بيه إنت داخل هنا من غير صفه.

بحرفية شديدة وضح «هشام» موقفه، مواجهًا «فارس» بأدواته قبل أن يحاول «خالد» التدخل لتقليل هذا الوضع البوليسي:

- «فارس» مع احترامي ليك، إنت لازم تسجل، إحنا كمان محتاجين قصه نتعالج ونتكتب، إنت مش جاي عشان تذاكر الراجل وخلاص، أنا لازم ألاقي سيناريست كويس يسمع الكلام ويسجله.

قالها «خالد» ليقتنع «فارس» وإن كان يخفي نيته الحقيقية التي لا يزال يجهلها الجميع.

* * *



(٠٧)

من داخل محبسي كنت لا أزال أكتب قصتنا في تلك الأوراق التي وضعتها على صدري و(أنا) مستلقٍ على مقعدي واضعًا قدميَّ على المنضدة، حتى عاد «فارس» إلى محبسي لأتهكم عليه:

- ما بدري.

- بدل ما تقولي سلامتك؟!

مشيرًا إلى حالته بعد الحادث أضاف:

- ده إنت السبب.

اعتدلت في جلستي و(أنا) أؤكد أني أعلم ما يجهل فالقصة قصتي.

- عارف مش (أنا) صاحب القصة! المهم إن إنت بقى تقوم بدورك فيها بالحرف الواحد.

بطريقتي الروائية في الحديث شرحت الموقف لأجده قد



عاد مستسلمًا لي عكس العادة، فلقد صار متشوقًا للمزيد من كلماتي داخل عقله:

- شوف أنا النهارده مش هاقوحك، عشان فعلًا محتاج القصه.

ابتسمت مستمتعًا باستسلامه، فهكذا يجب أن تكون الشخصية في يد خالقها:

- هو ده جزئي المفضل، لما الشخصية بتستسلم خالص لدورها، ها.. تحب نبدأ من فين؟

اقترب مني «فارس» في فضول متسائلًا:

- من الأول، إنت عرفت مين اللي قتل أختك «جنة»؟

أومأت برأسي نافيًا فلم أكن أعرف الحقيقة حينها، لم أكن أعرف أنه «سمير السويفي» الذي كان في النادي الآن مع صديقي الوحيد «ناصف» بعدما هدده في غيابي:

- لازم توافق على الشغل عند «فارس» يا «ناصف».

وفي النادي يكمل «سمير» حديثه إلى «ناصف» وهو يدخن سيجاره الفاخر.



- مش فاهم!

يعلق «ناصف» مستفهمًا:

- مش مهم تفهم، المهم تنفذ اللي أنا أقوله وبس، ولّا عايزني أزعل؟!

- لا يا باشا ربنا ما يجيب زعل بس...

- من غير بس يا «ناصف»، إنت لازم تفهم إن السبب الوحيد اللي يخليك تتنفس لغاية دلوقتي، إنك ممكن تعرف «طارق» مخبي الكريستال فين!

أفصح «سمير» للتو عن نيته، فلقد كان يبحث عن «الكريستال»، تلك الأقراص المخدرة التي تشرك الواقع بالخيال، مخترقة خبايا العقل، متلاعبة بثوابته، مزيدة من الأصوات التي تحرك صاحبها في كل صوب مجنون، هكذا هو «الكريستال» أغلى من الذهب وأخطر من السلاح، ولقد أخفيته عنهم (أنا) منه الكثير.

- وده إيه علاقته بـ «فارس»؟!

تساءل «ناصف» الذي كان يعلم بما فعلت (أنا)، ليوضح



«سمير» ما عرفه بعلاقاته:

- بص يا «ناصف»، «فارس» بيعمل فيلم عن «طارق»، والداخليه سامحه إنه يقابله.

- عشان كده «فارس» جالي...

- وعشان كده إنت هاتقبل الشغل عنده..

توتر «ناصف» وبدأ العرق يغمر جبينه، ليبرز «سمير» من جيبه علبة للأقراص المخدرة معطيًا إياها إلى «ناصف» الذي ظل يسارقها النظر في تردد حال ترددي الآن و(أنا) أرمق علبة أقراصي المخدرة، فهل آخذ جرعة إضافية أم أنتظر؟

- ماردتش عليا يا «طارق»، عرفت مين اللي قتل أختك؟

رددها «فارس» ليعيدني إلى رشدي منتبهًا إلى محبسي، لأجيبه أخيرًا:

- للأسف معرفتش مين... وعشان كده قررت أنسى.

- تنسى؟! وهي دي حاجه تتنسي؟!!



مندهشًا تساءل «فارس» الذي لم يستطع نسيان ماضيه حتى الآن لأجيبه للطريقة:

- ما عشان كده كنت محتاج اللي ينسيني.

فمن هنا بدأت (أنا) رحلتي في التعاطي، تلك الرحلة التي نركب فيها قطارًا للموت باتجاه وحيد، حيث لا يستطيع أغلبنا العودة ولو محطة واحدة، دون خسارة فادحة، دفع فاتورتها أشبه بالمستحيل، ولكني كنت أدرك ذلك، بل وقد كانت غايتي أن أركب ذلك القطار متلهفًا ناحية الموت، أتعجل قدومه متمنيًا اللحاق بمن سبقوني تاركيَّ وحيدًا، فإذا كانت الجنة نفسها دون البشر تشبه الجحيم، فكيف حال الأرض وهي الجحيم ذاته!

هربت في المخدرات يومًا بعد الآخر، صنفًا تلو الآخر في محاولة للنسيان، ولقد نجحت بالفعل، فلقد صرت مجرد جسد لا أستحق ما أفعل فيه، صار جسدي اليوم أغلى من قيمة روحي وعقلي، فلقد سممت جسدي بكل الأنواع من الحشيش والبودرة وحتى الكريستال.

- وهو إنت قدرت على فلوس المخدرات ازاي؟!

تساءل «فارس» للتو فلقد كان يعرف إمكانياتي خاصة



في تلك المرحلة، ولكني شرحت:

- إنت عارف يا «فارس» محدش بيدفع في الأول.

- بس كمان مفيش حاجه ببلاش.

صدق «فارس» لأفسر (أنا) له:

- بالظبط كده، أول ما تاخد حاجه ببلاش، لازم تعرف إن إنت نفسك بتكون التمن.

قلتها و(أنا) أتذكر بداية مشوار رحلة موتي من ملهى «الياسمين» حين كنت هناك أتراقص بجانب صديقي الذي سحبته معي ظلمًا داخل نفس عربة القطار، وبينما (أنا) أرقص بين النساء منتشيًا، شعرت بانسحاب روحي شيئًا فشيئًا، حتى سقطت بجانب «ناصف».

- وبعدين؟

تساءل «فارس» مستمتعًا بقصتي، لأتابع (أنا):

- صحيت لقيت نفسي في مخزن صناعي.

- مخزن إيه؟



- مخزن الكاريه نفسه تقريبًا.

قلتها متذكرًا هذا المكان القبيح الذي تلازم رائحته أنفي حتى الآن، فلقد كانت رائحته نتنة من هول الأفعال التي تحدث فيه، كان سقفه عاليًا تخترقه البرودة من نوافذه العلوية المنكسرة، حال نقاط الأمطار التي ظلت تتساقط محدثة صوتًا نفسيًّا قاتلًا على أرضية المخزن الخرسانية، مخزنة فيه بعض السيارات المسروقة، خلاف الكثير من مواد البناء، إلى جواري كان «ناصف» مستلقيًا أرضًا، فحاولت تحريكه ولكنه كان في حالة من الإغماء، عدلت من جلستي بصعوبة بالغة، و(أنا) ممسك برأسي تألمًا من قوة الصداع، الذي كان مجرد بداية لآلام غير منتهية من أثر المخدرات، شعور موجع في كل بقعة بالجسد، وكأني مستلقٍ على طاولة المطبخ، حيث يقوم الطباخ بتقطيعي من أجل وليمة ما، غارزًا في كل قطعة من لحمي سكينه الحاد، لأتمنى حينها الموت هروبًا من أوجاعي! ولكني كنت أيضًا خائفًا من لقاء ربي، فلم أكن جاهزًا للحساب، فتمنيت لو كنت ترابًا، لم تبعث الروح فيَّ من قبل.

- فوقوه بميه.

سمعتها من رجل ما، ليمسك على الفور أحدهم بدلو من الماء ليلقيه علينا، ولكننا لم نستطع حتى الاستفاقة،



قبل أن يدخل رجل الأعمال المعروف «ضرغام نصر» الذي أحضر له رجاله كرسيًّا ليجلس وهو يدخن غليونه، وبإشارة خاطفة منه إلى رجاله الذين فهموا وأخرجوا مباشرة إبرًا مخدرة، ممسكين بذراعي و«ناصف»، حاقنين كلًّا منا بجرعة إضافية، وبالكاد استطعت سماع جملة «ضرغام نصر».

- نضفوهم وجهزوهم للأسبوع اللي جاي.

قالها الرجل ونهض بجسده البدين مغادرًا متابعًا تدخين غليونه متكئًا على عصاه ذات الرأس الذهبي، لمعانها كاد يخترق عيني!

- «ضرغام نصر» تاجر الدهب!

تساءل «فارس» جاهلًا باقي الحقيقة ليجيبه متهكمًا:

- تقصد الدهب الأبيض؟!

- مخدرات!!!

صائحًا قالها «فارس» وهو يمسك بهاتفه ليبدأ التسجيل، بينما تابعت (أنا) بحسن نية ما حدث داخل هذا المخزن، الذي ظل فيه رجاله يكررون إعطاءنا الجرعات



المخدرة بانتظام، إلى أن شرعنا في استعادة حياة كاذبة، ليقوموا بعدها بتنظيفنا كالغنم بخرطوم المياه الباردة و(أنا) و«ناصف» عريانان، نتألم من برودة المياه تارة، ومن كسر كرامتنا تارة أخرى، بينما ظل رجال «ضرغام» يضحكون حتى فرغوا، فألقوا إلينا ببذلتين على مقاس كل منا بدقة متناهية، لنقوم بتنشيف أنفسنا وستر عوراتنا، ثم ارتدى كل منا بذلته السوداء، التي تماثل مع بذلاتهم المكررة، لنصبح مثلهم في مصنع العبيد هذا داخل ملهى «الياسمين».

- وبعدين؟

تساءل «فارس» في طفولة لأجيبه مستمتعًا، فراوٍ (أنا) قبل كل شيء.

- ولا حاجه، قابلنا «ضرغام» نفسه في مكتبه.

كان المكتب في الطابق الأعلى للمخزن، يراقب ما يحدث فيه من ناحية ويراقب الملهى من الناحية الأخرى، فلقد كانت تلك هي حياة «ضرغام» الذي كان يجلس أمامنا مرتديًا بذلة حمراء اللون، ملفتة للنظر وهو يمسك بعصاة ذات رأس الشيطان الذهبية، التي تباهى بها شيطانه، ليرمقنا «ضرغام» من داخل مكتبه المكسو بالخشب أسفل بانوهات ذهبية، تعكس ذوق متهالك لثراء كاذب.



- حمد لله على السلامه يا رجاله.

قالها «ضرغام» وهو ينظر إلينا متنمراً قبل أن يضيف ونحن ننظر أرضًا.

- بقى مش خساره النمور دي تبقى قطط كده!

ظهر الغضب على «ناصف» الذي اقترب خطوة ناحية مكتب الرجل قبل أن أمسك به بقوة، لاحظها «ضرغام» معلقًا:

- اعقل واسمع كلام كبيرك.

نطق «ضرغام» بالحقيقة فلقد كان «ناصف» دائمًا تابعًا لي، رغم أنه كان أضخمنا جسدًا، ولكني كنت (أنا) دائمًا العقل المدبر:

- إيه المطلوب مننا يا باشا؟..

تنهد ورجع «ضرغام» بظهره على الكرسي ملتفًّا ليرمق ناديه الليلي من خلف نافذة زجاجية.

- أحب أنا الروح دي جدًّا، عشان كده مش هاضيع



وقتكوا، أنا مستخسركوا في الذل اللي انتوا كنتوا فيه.

استمر الرجل بكسرنا عمدًا، ثم تابع:

- وعلى رأي المثل طباخ السم بيدوقه، وبما إن انتوا دقتوه يبقى ليه بقى ماتخشوش المطبخ؟

- نتاجر؟!!

تساءلت فرحًا دون أن أعرف السبب.

- نتاجروا إيه يا صعاليك!

قالها «ضرغام» ضاحكًا وهو يسعل قبل أن يتابع شارحًا:

- إنتوا حياله هاتبقوا موصلاتيه.

- بس (أنا) مابحبش آخد أوامر من حد!!

بقوة أعجبت الرجل علقت:

- بس أنا مش حد يا «طارق»:

أوضح «ضرغام» في تحدٍّ واضح لا يسمح بمجال للشك،



لأقاطعه (أنا) من فوره:

- موافقين.

اندهش «ناصف» دون أن يستطيع معارضتي، ليبتسم «ضرغام» قائلًا:

- واضح إنك ذكي يا «طارق»، وهاتبقى على قد نظرتي ليكوا، عشان كده هادخلكوا جنتي، بس خلوا بالكوا أنا جنتي ممكن تقلب نار، ونار أسخن من نار جهنم.

كان «ضرغام» صادقًا رغم كذبه، فالجنة والنار تختلف حسب إيمان زائريها، ولقد كان لكل منا عقيدة مختلفة ولكني لم أصارحه في حينها:

- وأنا عايز أعيش في جنتك يا كبير.

قلتها بأسلوب متراخٍ أرضى غروره، وبدوره أثنى عليَّ وهو يصفق بيديه فرحًا معلنًا نصرًا جديدًا.

- برافو عليك، إجابة صحيحة... وأنا فعلًا الكبير...

بتبجح أعلنها وهو يراقب جنته داخل ملهى «الياسمين» وقد وصلنا إليه حالًا لنكمل احتفالنا رقصًا ويبكًا قد خام



الشراب عقولنا حتى بتنا عبيدًا للرجل من توِّنا.

- ودخلتوا الجنة؟!!

تساءل «فارس» ليعيدني من صخب الملهى إلى حبسي، فأجبته شاردًا:

- أنا عمري ما شوفت جنه ولا نار يا «فارس»، أنا اللي زيي مابيعيش حياه واحده، لأ.... بيعيش كل يوم حدوته، عشان كده أنا اكتفيت.

- بس أنا لسه ماكتفيتش.

هكذا بدا رده، متعطشًا لمعرفة المزيد، فسألته في تحدٍّ:

- متأكد؟!

- أيوه متأكد.... كمل لو سمحت.

- بس قبل ما اكمل أحب أقولك إنك لو كملت غطس معايا ممكن الأكسجين مايكملش معاك إنك ترجع تاني السطح.

توتر «فارس» وهو ينظر إليَّ يكاد فضوله يقتله.



- مابقاش ينفع أرجع، أنا بقيت أسير الحدوته دي.

قالها متذكرًا حديث طبيبته النفسية عن التماهي الذي يتوحد فيه «فارس» مع شخصيته ذاهلًا أية فوارق بينهما، لأشرح (أنا) له موضحًا:

- ماشي، بس أحب أأكد لك إن اللي هايتقال بعد كده مش هاينفع يتنسي.

- مش هانساه صدقني.

أبتسم و(أنا) مستمتع لأكمل فصلًا آخر في قصتنا، والذي التزمت فيه بإتمام عمليات كثيرة لصالح «ضرغام» الذي ظل يعاملنا كعبيده دون أي اعتراف بفضلنا، مكتفيًا بجانب من الاتفاق بفتح باب جنته الواهية لنا، ليظل كرهي له وغضبي في ازدياد ولكني كنت أذكى من «ناصف» ولم أجهر بما أخفي يومًا، حتى جاء ميعاد تلك العملية الأكبر، والتي كانت في ميناء الإسكندرية، وهي عبارة عن عملية نقل بضاعة كبيرة تمثل في شحنة هائلة من المخدرات، وصلت مكدسة بعناية خفية داخل إحدى السيارت القادمة من تاجر آخر يدعى «ناصر» والذي أرسل رجاله هنا للتو، لأهمس إلى «ناصف» من جانبي:



- شكلنا هنرجع شقاوة زمان.

تبسم «ناصف» وهو يتابعني مترجلًا حالما كنت (أنا) أقوم بتسلم سيارة أخرى بدلًا من سيارتنا في شك وريبة لثلة من رجال «ناصر» الذين تفوقوا علينا عددًا، ولا زلت ممسكًا بسلاحي و(أنا) أترجل من سيارتي تاركًا فيها مال «ضرغام»، وقبل أن أصل للسيارة الأخرى لاحظت نية البقية منهم في الغدر بنا، حيث كان هناك آخرون أعلى شاحنة نقل قد خرجوا حالًا بسلاحهم، حينها أدركت (أنا) أنها النهاية، إلا أنني كنت ميتًا بالفعل، ليس لديَّ ما أخسره، فابتسمت و(أنا) أبادر في غمضة عين بإطلاق النار، ليسقط الواحد تلو الآخر قبل أن يعتلي المشهد صوت سارينة الشرطة، الذين ظهروا فجأة من بعيد، ليزداد المشهد صخبًا ويتوتر الرجال هاربين، فلم يكن عملهم يستحق هذا العناء وظنوا أن حياتهم لا تستحق المخاطرة، عكسي (أنا) الذي استطعت الاحتماء من ضرب النار، لأصل إلى سيارة البضاعة مع «ناصف» وبدلًا من الفرار، تقدمت ناحية سيارتنا التي تحتوي على الأموال، وقد كان الرقم بالملايين، لأقوم بمخاطرة جريئة أذهلت «ناصف» فظنها طمعًا في المزيد من الأموال، ليصرخ معترضًا:

- إنت بتعمل إيه يا مجنون هانموت!!!!

لم أتوقف (أنا) وتابعت منطلقًا بالسيارة وسط إطلاق



النار، ثم توقفت على الجانب الآخر حيث يوجد بقيتهم، فاتحًا بابي وأخرج خاطفًا حقيبة الأموال من السيارة الأخرى من بين الجثث المتراصة مكومة في مستوى إطارات السيارة ذات اليمين وذات الشمال، وبالكاد اقتربت سيارات الداخلية من بلوغنا، بينما كان «ناصف» يغطي ظهري مطلقًا المزيد من العيارات النارية ناحية رجال الشرطة دون أن يصيب أيًّا منهم، عكسي (أنا) الذي كنت أحسن فن التصويب، خاصة عندما أكون قد تعاطيت جرعتي بالفعل، فنظرت إلى هذا الضابط المجتهد وأطلقت من سلاحي عيارًا ناريًّا ثاقبًا أسقط الرجل على التو، ذلك الضابط المخلص الذي كان يعمل بمكافحة المخدرات قبل أن أصيبه (أنا) وينتقل بعدها للمباحث بحثًا عن الانتقام، إنه بالطبع المقدم «هشام» الساقط الآن أرضًا بعدما أصبته حينها في ذراعه!!!

* * *



(٠٨)

زاد توتر «فارس» عندما عرف أن الضابط الذي أصبته هو المقدم «هشام» ليظل يجوب المكان ذهابًا وإيابًا في جنون وخوف:

- مالك اتخضيت كده ليه؟!!

- إنت مجنون؟! إنت بتعترف قدامي إنك ضربت النار على المقدم «هشام» وعايزني أعمل إيه أرقص!!

- مش قولتلك إن اللي هايتقال بعد كده مش هاينفع يتنسي؟

وقف «فارس» ونظر إليَّ نظرة عتاب قبل أن أضيف (أنا):

- وبعدين في إيه يا «فارس»؟ ما الراجل زي الفل ومحصلوش حاجه.

- هو عارف إن إنت اللي ضربت عليه نار؟



ضحكت معلقًا:

- أكيد لأ.

سكت لحظة ثم تابعت داخل عقله آمرًا إياه بعدم الإفصاح عما عرفه للتو ثم تابعت:

- وبعدين ما أنا عوضته ورحت اعترفت له بأكبر قضية للرأي العام، قضية «السجين X»، إللي أنت دلوقتي بتكتبها في السيناريو X

- بس مش ده اللي هو عايزه يا «طارق» وإنت عارف.

ابتسم له ريثما طمأنته و(أنا) أقول:

- ماتخافش هو هايعرف كل حاجه في وقتها.

قلتها و(أنا) أعني ما أقول جيدًا قبل أن يتلاشى «فارس» من أمامي ويذهب إلى مكتب «المأمور» الذي كان «خالد» و«هشام» يجلسان فيه هناك فيه بانتظار وصول «فارس»، مستغلين الوقت يتجاذبان أطراف الحديث الذي يعكس نية كل منهم:

- يا «خالد» بيه اللي إحنا بندور عليه أكبر وأخطر من



مجرد قصة، إنت ماتعرفش اللي «طارق» مخبيه خطورته إيه! دي قضية بلد بحالها.

يصرخ «هشام» ليتدخل «خالد» مجاملًا كعادته:

- الله يكون في العون يا باشا.

ابتسم «هشام» الذي حاول هو الآخر معرفة نوايا «خالد» الحقيقية:

- بس ماتأخذنيش يعني يا «خالد» بيه، إنت بتيجي بنفسك ومهتم بالحدوته دي بالذات ليه؟! أكيد عندك اللي يساعدك بدل ما تيجي كل يوم بنفسك.

ظهر التوتر على «خالد» الذي تلعثم قائلًا:

- أصل «فارس» ده غالي عندي أوي، ده زي أخويا بالظبط حضرتك.

سكت لحظة، ثم تابع بخبث شديد:

- وبعدين إذا كنت إنت بتيجي بنفسك، أنا مش هاجي!

اقترب «هشام» من «خالد» متحديًا:



- صدقني يا «خالد» بيه، أنا مش جاي عشان شغل بس.

- أمال بتدور على إيه؟!!

- يمكن على اللي إنت نفسك بتدور عليه يا «خالد»..

كان «هشام» صادقًا مع اختلاف نية كل منهما، قبل أن يقطع حديثهما دخول «فارس» للتو، ليقف «خالد» في لهفة:

- ها طمنا يا نجم..

ظل «فارس» متجهمًا، بينما توقف «هشام» واقترب آخذًا هاتف «فارس» الذي كان قد مسح التسجيلات كما أوحيت له في عقله بالطبع.

- إيه ده إنت مسجلتش حاجه!!!

غاضبًا قالها «هشام» وهو يبحث عن التسجيل في جنون، ليدافع هو عن نفسه:

- معلش أنا سرحت..



- سرحت!!! لأ ما هو أنا ورايا أشغال برضه.

علق «خالد» الغاضب هو الآخر، ليرتاع «هشام» في نفسه من اهتمام «خالد» المبالغ بالتسجيل دون أن يشارك شكوكه ليقول:

- «فارس» بيه، واضح إنك مافهمتش كلامي كويس، إحنا هنا مش بنلعب.

لم يُعِر «فارس» اهتمامًا لكلماته المغلفة بطابع تهديدي، بل وسحب هاتفه بقوة، قبل أن ينتزع أيضًا علبة سجائر «هشام» وقداحته ليشعل سيجارة أمسك بها ببطن كفه بسبابته والإبهام، كما أفعل (أنا) بالضبط، ثم أكمل تجسيد دوري وهو يجلس واضعًا قدمًا على الأخرى، قبل أن يقول وهو يخرج الدخان من فمه على شكل تلك الحلقات الدائرية التي أحبها:

- واضح إن حضرتك اللي مش واخد بالك من الموقف، إنتوا اللي محتاجني مش (أنا)، (أنا) صاحب القصة وبطلها، ولو فعلًا مهتمين بالأحداث اللي حصلت، أحب أفهمكوا إني مابحبش آخد أوامر من حد.

جلس «هشام» في هدوء وهو يرمقنا في حذر.



- إحنا اتغيرنا خالص!

- كل دور وليه شخصيته يا «هشام» بيه، ودور «طارق» ده يبقى دوري (أنا).

قالها «فارس» قبل أن يقف تاركًا الجميع خلفه دون حاجة لمن يخرجه من هنا في ثقة كنت أمتلكها (أنا) فقط دون غيري.

من خارج السجن أخذ «فارس» سيارته التي جاء بها اليوم عكس الماضي، ليعود بها إلى منزله والأصوات تعلو داخل عقله، بينما من حوله يرى الجميع خاصة عن تلك الإشارة التي توقف فيها للحظات كي يتسنى للمشاة العبور، والذين كانوا طابورًا من الأموات يعرفهم جيدًا، حيث امتزج موتاه مع أمواتي يعبرون الطريق من أمامه وأعناقهم ملتوية ينظرون إليه في تحدٍّ، حالما أخرج من جيبه علبة أقراصه متوترًا ليبتلع جرعته ويعود إلى رشده مبتسمًا بعد خلو الطريق، ليكمل عائدًا إلى فيلته الخاصة، صف سيارته فنزل منها مترجلًا، قبل أن يلاحظ «فارس» تلك الظلال التي تتبعه على الأرض لشخص ما خلفه، فتقدم بهدوء شاعرًا بالخطر، بينما كان هو خلفه بالفعل يقترب، ليلتف «فارس» مباغتًا الرجل بحركة سريعة من حركاتي (أنا) حتى طرحه أرضًا بين قدميه ليتفاجأ مما صنع، فلقد كان



الرجل المستلقي أرضًا هو صديقي «ناصف» المذهول من قوة «فارس» والتي زرعتها في عقله المريض!!

هذا قبل أن أترك قلمي متذكرًا أميرتي في خيالي، لأظل لحظات طويلة من الشجن و(أنا) أتذكر ما حدث لها، فلقد كانت هي كل حياتي وبالتأكيد ستصبح هي سبب مماتي.

من داخل فيلته كان «فارس» يرحب بـ «ناصف» ممسكًا بكمدات يضعها على ذراع الأخير الذي ظهر متألمًا من هجومه عليه آنفًا والذي سخر متهكمًا:

- أمال مدرب جودو إيه بس!

أحرج «ناصف» الجالس في الصالون، وقال مدافعًا:

- يا بيه إنت واخدني على خوانه، وبعدين ماتأخذنيش يعني، إيه الغشوميه دي؟!

تساءل «ناصف» وهو يشير إلى ذراعه الملتوية:

- معلش يا صاحبي، حقك عليا..

- حق إيه بس يا بيه! طب وإنت مش محتاج جارد ليه



بقى، ده بالصلاة على النبي أنا لو معرفكش أفتكرك مدرب جودو!!

صدق «ناصف» الذي كان يجهل ما قمت به مع تلك الشخصية، ليبتسم «فارس» الذي شعر بفخر بنجاحه في تقمص دوري الذي كان دوره الأهم في الحياة، بل إنه كان دوره الذي خُلق له من الأساس.

- قولي صحيح.. إنت عرفت عنواني ازاي؟

توتر «ناصف» وقال كذبًا:

- اللي يسأل مايتوهش، وبعدين إنت نجم كبير، وغني عن التعريف.

- طيب مكلمتنيش ليه؟ ما أنا سيبتلك رقمي!

- أصل... أنا الصراحة كنت عايز أعرف لو الوصول ليك سهل ولّا لأ.

سكت لحظة، ثم تابع كذبه:

- من باب التأمين يعني.



حدق فيه «فارس» متعجبًا من الإجابة قبل أن يكمل «ناصف» موضحًا:

- قولت آجي أشوف شغلي...ولّا انت رجعت في كلامك؟

ابتسم «فارس» فرحًا وهو يقترب يجلس بجانب «ناصف»:

- بالعكس طبعًا، ده أحسن خبر..عشان نرجع شقاوة زمان.

اندهش «ناصف» من تعبيري ليحملق «فارس» متعجبًا قبل أن يرن جرس المنزل، ليذهب متوجهًا لفتح الباب، فإذا به يجدها «فاتن» تندفع ناحيته بإثارة إلى الداخل قبل أن تلاحظ وجود «ناصف» الذي أحرج ونظر أرضًا.

- إنت عندك ضيوف؟

- أبدًا ده «ناصف» شغال معايا جديد.

هكذا علق «فارس» ليتقدم «ناصف» مادًّا يده محييًا «فاتن»:



- أهلًا يا فندم.

- أهلًا يا «ناصف»، طيب خلاص تحبوا أسيبكوا على راحتكوا؟

- لا أبدًا أنا كنت ماشي خلاص يا فندم.

انزعج «فارس» مستوقفًا «ناصف»:

- بس إحنا لسه ماتفقناش يا «ناصف».

- يا باشا أنا بتاعك خلاص ماتشيلش هم.

قالها «ناصف» مطمئنًا، ثم أشار إلى ذراعه الملتوية، علق ساخرًا:

- وبعدين أكيد مش هانختلف.

- مايبقاش قلبك أسود بقى.

رد «فارس» محرجًا:

- لا فداك يا باشا، فرصه سعيده يا مدام.



- طب كلمني بكره يا «ناصف».

- حصل يا باشا، عن إذنكوا.

قالها مطأطئًا رقبته بينما ودعه «فارس» بحرارة أدهشت «فاتن» وهي تراه يتبع «ناصف» إلى باب الفيلا:

- مع السلامه يا صاحبي.

سارعت «فاتن» بإغلاق الباب متسائلة:

- مين بقى صاحبك ده؟!!

- ولا حاجه ده بودي جارد جديد.

- بودي جارد!! من إمتى يعني وانت بتحتاج بودي جاردات يا «فارس»؟

كاذبًا تلعثم «فارس» في توتر وهو يقول:

- طلبات «خالد»... المنتج، عشان اللي حصل في البريمير اللي فات.

لم تفهم «فاتن» حاجة «فارس» لذلك، فلم يحدث ما



يقلق في عرض الفيلم الأول حتى يستدعي هذا الإجراء.

- بس ده شكله مريب جدًّا!

توتر «فارس» الذي حاول كسر الموقف واقترب منها مشاكسًا:

- إحنا هانقعد اليوم كله نتكلم على «ناصف» ولّا إيه!!

* * *

إلى منزل المقدم «هشام» حيث كان الرجل في حمام غرفته يفحص نفسه في المرآة قبل أن يخلع قميصه، لينظر إلى خياطة أصابته، يجس آثار تقتيب جرحه متحسسًا نتوءاته متذكرًا الحادث، عندما وقع أرضًا في تلك المطاردة داخل ميناء الإسكندرية.

في تلك اللحظة استطاع «هشام» الوقوف رغم إصابته دون أن يراني (أنا) و«ناصف» بعدما فررنا بسيارتنا الرباعية، ليقوم «هشام» بالركوب في سيارة الشرطة بجانب السائق في محاولة منه للحاق بنا وهو يقاوم ويتماسك رغم نزيفه.

- يا فندم إحنا لازم نقف عشان إصابتك.



- وأنا بقولك وراهم بسرعه!!

صارخًا قالها «هشام» ليتبع السائق سيارتنا وهو قلق على حالته؛ الأمر الذي أثر على سرعته مما أعطانا فرصة مواتية للفرار، فلقد كنت محترفًا في القيادة السوقية التي تعلمتها في شوارعنا، لأجدهم أخيرًا بعيدين عن مرآة السيارة فتوقفت (أنا) و«ناصف» تاركين حقيبتي المال والمخدرات، ثم ترجلنا متوجهين ناحية البحر، ليصل بعدنا «هشام» إلى سيارتنا التي هجرناها خالية.

* * *

من صالة فيلا «فارس» ظهر الضيق على «فاتن» وهي تصيح متبرمة:

- أنا مش بريموت كنترول مرة تصدني ومرة تقربلي.

- بس هو ده كان اتفاقنا يا «فاتن».

قالها بقسوة ذكورية، قالها غير مكترث لمشاعرها التي جرحها:

- والله!! أمال كان إيه يا «فارس».



دامعة قالتها «فاتن» قبل أن تضيف مرتجفة بعدما فقدت الأمان:

- أنا رضيت آخد نص راجل، لأ نص إيه!

قالتها متذكرة علاقتهما سويًا والتي قبلت بها صدقًا وحبًا وسرًا بينهما.

- أنا كنت بشوفك يوم في الأسبوع، وأحيانًا يوم في الشهر كله، يا أخي ده أنا كنت قربت أنسى إني مراتك.....

* * *



(٠٩)

في مشهد قديم من داخل شاليه «فاتن» بالعين السخنة كان «فارس» جالسًا في تردد وهو ممسك بالقلم أمام تلك الأوراق لشهادتي زواج عرفي وسط صديقتين لـ «فاتن» وزوجيهما، والتي أحرجت «فاتن» للتو أمامهم بعد تردد «فارس» كل تلك الفترة للتوقيع، لتبادر هي بإمساك يده في جرأة الأنثى حالما يمتحنها الشبق، وفي لفتة حراقة همست إليه:

- «فارس» ماتخافش..

وفي خضم تأثير هذه الأجواء المفعمة بحنانها ابتسم لها مسحورًا وهو يوقع كلتا الورقتين، لتبدأ الصديقتان بالاحتفال، بضع زغرودات معدودات بصوت ما منخفض أتبعتاه بعناق حار لبعضهما ثم إلى رقصات لبرهة زمنية يسيرة، سعادة عارمة اجتاحتهما ومرح بهيج غزا فؤاديهما حال زوجيهما اللذين وقع كل منهما، مباركين لـ «فارس» وبدوره حيا الرجلين في صمت، ريثما عاقرا بضع كؤوس لنخب زواجيهما من تلك القنينة الفاخرة استحضارًا لنشوة خمرها دونما إكثار تجنبًا لمخالطة سكرها قبل أن يقول أحدهما:



- طيب يالا إحنا نسيب العرسان يرتاحوا...

- لا استنوا معانا شويه..

علقت «فاتن» متمسكة بأصدقائها:

- لا ماينفعش العريس يضربنا، بس هانجيلكوا بكره نشوف لو محتاجين حاجه، خلي بالك من نفسك يا عروسه.

- حاضر يا حبيبتي، مع ألف سلامه نورتونا.

غادر الأصدقاء في خفة بينما تحرك «فارس» مغادرًا إلى تراس الشاليه المطل مباشرة على البحر، ليخرج «فارس» سيجارة ليدخنها مخرجًا فيها همه، قبل أن تلاحقه «فاتن» بعدما أوصلت أصدقاءها، لتقترب «فاتن» منه ضامة إياه من الخلف ممسكة بأوراق زواجهما.

- ماتخافش...

قالتها وهي تعطيه كلتا الورقتين مردفة:

- إمسك يا «فارس».



- إيه ده؟!

- أنا متجوزاك عشانك مش عشان الناس، وأنا عارفه الظروف اللي إنت بتمر بيها دلوقتي، وعارفه إن لو جمهورك عرف مش هايقدر.

بصدق قالتها، ثم اقتربت منه مكملة حديثها:

- أنا مش عايزه منك أي حاجه يا «فارس»، ولا حتى وعود.

كذبت فيما ادعته، فلا يستطيع أي منا وهب نفسه دون مقابل؛ لذا لا يجب أن نعد في لحظة حب ومودة، لأن الجميع يحنث بوعوده عندما يكون الثمن زهيدًا:

- أنا عايزه بس أحاول أنسيك اللي حصل، إنت مكنش ليك ذنب.

صعَّد فيها «فارس» ببصره وصوب في رفض، فلقد كان يشعر بأن الذنب كان ذنبه هو، لتحاول هي تغيير نظرته للأمور قائلة:

- إنت رفضت تخون يا «فارس»، وكنت أنضف راجل



وزوج، بلاش تقسى على نفسك.

لقد قالت «فاتن» الحقيقة بالفعل، فلم يخن «فارس» بل قاوم كل الشهوات، كان بالفعل وفيًا وإن خانه قلبه واحتياجاته التي تغافل عنها الجميع، فهو مجرد فنان مرهف يحاول الاستمرار في قطر الحياة، بعدما أفلس عاطفيًا.

- بس أنا مبقاش عندي اللي أديهولك يا «فاتن».

ملتفًا إليها قالها.

- وأنا مش عايزه آخد منك حاجه يا «فارس»، زي ما قلتلك أنا عايزه بس أنسيك.

قالتها وهي تفترس شفتيه بقبلة رومانسية، قبل أن يدخل بها «فارس» في غرفة نومها المطلة على الشاطئ مفتوحة النافذة، تسمح بدخول نسيم هواء خفيف يتماشى مع أدائه الهادئ، فلقد كانت تلك المرة الأولى التي تلبي امرأة حاجته، دون أن يحاول هو إمتاعها في المقابل، بل كان الكون في تلك اللحظة يلتف حوله هو، ليكمل «فارس» إرضاء شهوته في حلال أخفاه عن الجميع، بينما كانت هي تنظر إليه مدركة احتياجه القاسي إلى جنة جسدها لتستقبله في رحمها استقبال الفاتحين، حتى صار هذا ملجأه الوحيد من الدنيا، ولقد كان «فارس» يبتغي ملجأ مشروع يتماشى

مع فطرته التي علمتها «فاتن» ليكمل هو في قرارها وضع منيه الذي استأمنها عليه حال أن أدركته نشوة غريبة تزامنًا مع إفراز غدده هرمونات للسعادة، عندها ارتسمت على عينيه وبين شفتيه ابتسامة صادقة على الفور قد نسيها ومنذ أمد خلف ابتسامات أدوار شخصياته، قبل أن يدفع للتو هو ثمن سعادته هذه وليكمل معركته الثانية لترتضي «فاتن» من توها بالثمن.

- أنا متغيرتش يا «فارس»، إنت اللي اتغيرت.

قالتها «فاتن» الآن من داخل فيلا «فارس» قبل أن تضيف:

- زمان رفضتني مره واستحملت، وبعدها اتجوزتني في السر زي الحراميه وبرضه استحملت.

ظهر الانكسار على «فارس» شاعرة هي بمدى سوء قولها، لتجلس تحاول لجم انفعالها:

- أنا آسفه يا «فارس» بس أنا مابقتش فاهمه حاجه، أنا حاولت كتير أنسيك اللي حصل، عشان بحبك بجد، بس أنا مش رخيصة أوي كده، أنا مابقتش فاهماك، ولا إنت بتتكلم، مابقتش عارفه إنت عايزني ولّا لأ، مش حاسه إنت حابني ولّا كارهني.



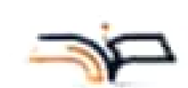
- كارهك يا «فاتن»...

قالها وجلس إلى جوارها ورجع بظهره إلى الخلف ليعترف:

- كارهك عشان كاره نفسي، كاره النفس اللي بتنفسه، ساكت عشان لو نطقت هاكفر يا «فاتن».

دمع «فارس» للتو بعدما تذكر ضعفه الذي حاول الهروب منه، لتقترب منه «فاتن» لتضمه قبل أن تقبله، ليستجمع «فارس» قواي (أنا) وهو يمسك بها صعودًا إلى أعلى، ليبدأ «فارس» معركة جديدة ولكن تحت إشرافي (أنا) بعيدًا عن رومانسية «فارس» التي لا تجدي نفعًا مع جسد «فاتن»، حيث بدأت (أنا) للتو الإمساك بزمام الأمور، دون حتى أن أخلع كامل ملابسي، فقد كنت بحاجة ماسة إلى إخراج كبتي، بقوة أرهبتها للتو، حتى أخذت تتأوه بصراخ أمتعني و(أنا) أكمل الإيلاج بكامل قوتي التي عانت منه قبل أن تحاول هي التملص مني ولكني استطعت التحكم بها، وسط صراخها الذي ظل يمتعني، حتى ارتعشت وانتهيت لأتركها وسط دموعها لتهرب.

- إنت أكيد اتجننت، إنت مستحيل تكون «فارس» اللي حبيته!



قالتها وهي تهرب من فيلته تنوء ثقلًا بأثر فعله فيها، ليظل «فارس» هناك مستلقيًا على السرير، لساعات طويلة، يحاول التملص مني بعدما استطعت إحكام قبضتي على عقله، إلا أنه تذكر فتلمس علبة حبوبه ليأخذ تلك الجرعة الكريستالية التي أنهت أحداث هذا اليوم العصيب.

* * *

- في حد غير «فاتن» لاحظ التغيير ده؟

سألت الدكتورة «هدى» «فارس» من داخل عيادتها، فقد توجه إليها أول وجهة له في الصباح، بعدما أدرك ما فعلت (أنا) فيها:

- معرفش يا دكتوره.

أمسك «فارس» برأسه في ضيق وهو يحاول إدراك الأمور:

- كل اللي أعرفه قولتهولك، (أنا) مكنتش أنا يا دكتوره!!

نظرت «هدى» داخل ملف «فارس» ثم تساءلت:



- إنت بتاخد العلاج يا «فارس»؟

لم يجب «فارس» ليبدو عليها الضيق، لتقول في جدية كي تستحثه على العناية بالأمر:

- «فارس» إنت حالتك النفسية ماتسمحش بالمخاطره دي، وشخصية «طارق علوان» دي واضح إنها عنيفه، نظراً للظروف اللي مر بيها، وفعلاً الإنسان بالفطرة عنده استعداد للعنف، وإنت بالذات عارف كويس إن عندك حالة غضب لسه ماتفرغتش.

بصدق علقت فالإنسان محب للعنف بفطرته وتلك كانت فرصتي لأغتنم عقل «فارس» وأحتله.

- وللأسف سكوتك زود حالة الغضب دي ما قللهاش يا «فارس» عشان كده لو مأخدتش العلاج هايبقى وجودك هنا زي قلته، وهانرجع خطوات كتير لورا.

لم يستمع «فارس» لكلماتها، فلقد كنت قد تمكنت من عقله بالفعل فأمرته بتركها وناديته ليحضر لديَّ فوراً في تلك اللحظة بالتحديد لأجده هنا أمامي في محبسي لأبتسم له.



- اتأخرت ليه؟

- كنت عند الدكتوره.

أجاب «فارس» ليغضبني.

- إنت مش محتاج دكتور يا «فارس»، إنت محتاجني (أنا)، محتاج القصه كلها، عشان تعرف دورك من سكات.

- طيب كمل..

علق «فارس» مستسلمًا.

- هكمل.

وبالفعل أخذت أكمل له رواية قصتي بعد فراري (أنا) و«ناصف» من المقدم «هشام».

- وبعدين يا صاحبي.. روحنا في داهيه ولّا إيه؟

تساءل «ناصف» ونحن مبتلان على شاطئ البحر لأبتسم له مطمئنًا:



- ماتخافش يا صاحبي Cest la vie.

قلتها بعدما أدركت للتو خطوتي القادمة والتي كانت «ناصر»... أجل «ناصر شكري» الذي كان الآن داخل سيارته، يكمل «ناصر شكري» حديثه عبر الهاتف:

- في داهيه الفلوس، وفي داهيه كمان الرجاله، بالعكس اللي عايش منهم صفوه، وأنا هاخد بعضي وهسافر احتياطي.

قالها قبل أن يصل بسيارته إلى قصره بسيارته الفارهة، ليفتح رجال الأمن البوابة ليدخل «ناصر شكري» ويصف السائق السيارة أمام باب القصر، ثم على الفور فتح الأمن له الباب، فيترجل «ناصر شكري» ويدخل تاركًا حراسه عند باب القصر الذي فتحه خادم آخر والذي أمسك معطف «ناصر شكري» وقد كان أصغرهم سنًا فلم يتم الأربعين بعد، ولكنه أصلع أبيض البشرة، وها هو يهرب بعدما ظن أن الشرطة قد كشفت أمره.

- حمد لله على السلامه يا بيه، العشا جاهز في أوضة سعادتك.

- مش مهم العشا، أنا مسافر دلوقتي.



صعد «ناصر شكري» قصره الفاخر ذا السقف المرتفع، يرق مسرعًا عبر سلالمه الشرفية، وصولًا إلى لوبي غرف النوم ومنها إلى غرفة نومه، يدلف إليها ويضيء النور، ثم اتجه إلى السرير قبل أن يفزع من وجودي (أنا) و«ناصف» كنّا نجلس سويًّا نأكل عشاء الرجل واضعين أسلحتنا على المنضدة.

- إحنا آسفين والله بس واقعين من الجوع.

أخرج «ناصر شكري» سلاحه ليشهره في وجوهنا.

- إنتوا مين؟!!

- نزل سلاحك يا «ناصر» بيه، ووطي صوتك عشان الفضايح، إحنا جايينلك فلوسك مش أكتر.

اقترب «ناصر شكري» الذي رمق المال الموضوع جانبي، تلمع عيناه في تعجب.

- فلوس إيه!

- فلوس البضاعه بتاعت العمليه يا باشا، الخمسه مليون جنيه.



مشيرًا إلى حقيبة أقلتها.

- ماتخافش مانقصوش جنيه، والبضاعه كمان وصلت، يعني مفيش قضيه، اطمن والغي السفر.

أنزل «ناصر شكري» سلاحه متسائلًا:

- إنتوا مين؟!

تساءل لأجيب (أنا):

- إحنا رجالة «ضرغام نصر».

ابتسم «ناصر شكري» للتو بعدما ابتلع طعمي.

- لا.. إنتوا من النهارده رجالتي أنا، رجالة «ناصر شكري».

أعلنها لأفتح (أنا) فصلًا جديدًا في رحلتي التي ظل «فارس» يستمع إليها مستمتعًا، ليتساءل:

- هو «ناصر شكري» ده مش صاحب توكيل عربيات؟!

ببراءة ساذجة تساءل «فارس» لأصلح له المعلومة:



- ما هي العربيات دي مابتجيش فاضيه.

- إيه الدنيا دي!

ما فتئ «فارس» مندهشًا من الواقع الذي نعيش فيه، فلقد اكتفى بقصص أفلامه التي ظنها تعكس خيالًا بعيدًا عنا، ليكتشف أن الواقع قد يكون أصعب بكثير!

- دي الدنيا اللي حوالينا يا نجم، إنتوا اللي عازلين نفسكوا في جنينة أطفال، وجيه الوقت إنكوا تخرجوا للشارع، هاتشوف الناس بتموّت بعض عشان اللقمة، وغيرهم فاكر نفسه بيتحكم في اللقمة.

شرد «فارس» متفكرًا ثم سأل:

- وإنت كنت فين من العالم ده كله؟!

- أنا استثمرت في نفسي، عشان أكبر كان ممكن أهرب بالفلوس، بس أنا راجل حقاني، رجعت لـ «ضرغام» مخدراته، واديت لـ «ناصر» فلوسه.

- فاشتريت نفسك.



فهم «فارس» القصة أخيرًا، لأكمل (أنا) له:

- وضمنت مكان وسط الكبار.

* * *

من حول مائدة مستديرة داخل غرفة مغلقة خافتة الإضاءة اجتمع الخمسة الكبار، فكان هناك «ناصر شكري» و«ضرغام نصر» مع رجل الأعمال «شوكت العلايلي» ورابعهم «سمير السويفي»»، بينما من حولهم كان كبيرهم يرمقهم وهو يلتف حولهم بخطاه المثابرة تخطو حول الأرضية الخشبية مصدرة صوتًا أرهبهم عن قصد، ليبدأ «سمير السويفي» الحديث عن رفضه لدخول «الكريستال»».

- بس العمليه ده مخاطره كبيرة جدًّا، نوع المخدرات دي أخطر من السلاح.

صدق «سمير» الذي كان يخاف على نفسه وليس المجتمع بالطبع، ليتدخل «شوكت العلايلي» وهو رجل خمسيني شاب شعره من ظلمه، له شارب كثيف.

- ما هي المكاسب كده، ده جرام «الكريستال» أغلى أضعاف من جرام الدهب.



تدخل «ضرغام نصر» الذي كان يفضل الحقائق:

- أيوه بس البلد مش هاتسمح إننا ندخل الكريستال ده بسهوله، دي مش هاتبقى قضية مخدرات!!

سكت لحظة، ثم تابع موضحًا:

- دي هاتبقى قضية أمن دوله، إنتوا مش فاهمين ده ممكن يعمل إيه! وأنا الصراحه أخاف على اللي وصلتله.

تدخل «ناصر شكري» بطمعه:

- بالعكس، كل اللي وصلناله ده مش أكتر من سلمه، ولازم نطلع السلمه اللي بعدها عشان نأمن اللي وصلناله.

- بس العمليه دي خطر، والبلد مفتحه، إحنا كده محتاجين مكن مش بني آدمين.

علق «سمير السويفي» متذكرني «ناصر شكري» ويقول فخرًا:

- موجودين.

قالها وهو يشير إليَّ لأقترب من خلفه، ليظهر الضيق



«ضرغام نصر» الذي ظل يرمقني شزرًا، فرغم أني أعطيته حقه، إلا أنه كان يظنني لا أزال ملكية خاصة له.

- واضح إنك كنت عامل حساب كل حاجه.

تساءل «فارس» للتو والذي كان مستمتعًا بقصتي.

- مش قلتلك اللي جاي أصعب؟

- يعني إنت قدرت توصل للخمسة الكبار فعلًا.

- أكبر تجار مخدرات في بلدك.

- وطبعًا ده كان «شوكت العلايلي».

ابتسمت و(أنا) أجيبه.

- بالظبط ودي كانت أول مره أشوفه فيها.

- طب ومين «سمير» ده؟!

تساءل «فارس» لأجيبه بما كنت أعرفه حينها.

- «سمير السويفي» ده بقى ملك الضل.



- يعني إيه؟!

لم يفهم «فارس»، فلقد كان «سمير السويفي» شخصًا مختلفًا عن البقية كارهًا للأضواء عكسهم؛ لذا هو أكثرهم شراسة، فلا يعرفه الكثيرون، مجرد أسماء مجهولة تخفي الكثير من النفوذ والقوة، تضرب بضراوة دون قلق، فقليل من يعرف حقيقتهم أو حتى أسماءهم، لذا كان «سمير السويفي» بالفعل ملك الظل، يعشق أن يكون في المرتبة الثانية، لأنه يعرف جيدًا مخاطر أن تكون رقم واحد.

- طب والعمليه دي كانت إيه؟

- ده كانت الضربه الكبيره اللي بتيجي في آخر كل فيلم، الضربة اللي الكل بيبطل بعدها، بس طبعًا محدش بيبطل....

- إحكيلي عنها.

- هحكيلك... بس المهم تسمعني.





(١٠)

من اجتماع الخمسة الكبار الذي كان عادة يستمر لساعات طويلة، فعادة هم من يوزعون الغنائم على البقية، وبالطبع لكل منهم ساتر يدير منظومته من خلاله، وفي تلك الجلسة التي تابعوا فيها دخول كمية جديدة من الكريستال أكد «ضرغام نصر» للبقية كفاءتي رغم بغضه لي، فلقد كان طمعه أعظم من كبريائه:

- أنا كمان واثق في «طارق»، ما هو تربيتي وكان من رجالتي.

بفخر قالها لحفظ ما وجهه وكي أكسب ثقة كبيرهم، إلا أن «سمير السويفي» لم يقتنع وتابع شكوكه:

- بس أنا مقدرش أثق فيه، ده مجرد مدرب جودو.

اندهشت حينها من معرفة الرجل بي، ولكني لم أنتبه لمصدره.

- وإيه المانع؟



تساءل «شوكت العلايلي» ليجرحني «سمير السويفي» قائلًا:

- أنا مضمنش اللي غيَّر جلده مره، خصوصًا في مخاطره زي دي.

- خلاص القسمه على تلاته أبرك، إنت اللي هاتندم.

في سعادة وطمع قالها «ناصر شكري»، ليكمل «سمير السويفي»:

- حتى لو هندم، إنتوا عارفني، أنا مابحبش البهرجه بتاعتكوا، أنا بحب أعيش في الضلمه، عشان كده أنا هابقى برا اللعبه دي.

قالها «سمير السويفي» ووقف قبل أن يلتف إلى كبيرهم الواقف في الظل.

- تسمحلي أنسحب؟

- مفيش مشكله، تقدر تمشي إنت يا «سمير» وسيبلنا إحنا العمليه دي.

علق كبيرهم، ليضيف «سمير السويفي»:



- ماشي يا كبير، بس خلي بالك من رجالتك، عشان الطمع عمى عنيهم وهايضيعونا كلنا.

بث «سمير السويفي» سمه إلى كبيرهم ثم انسحب، لنكمل الجلسة دونه، تلك الجلسة التي كانت سببًا لتغيير الكثير في هذا السوق المتعطش للنسيان.

- واتشارك فعلًا «ضرغام» و«شوكت» مع «ناصر»؟

سألني «فارس» الذي اندمج في قصتنا، معيدًا إياي إلى محبسي، لأخرج سيجارة لأشعلها مستمتعًا بفضوله:

- ماتجاوبني يا «طارق» إيه اللي حصل؟

ضحكت صدقًا رغمًا عني، فلقد كان «فارس» متعطشًا لدوره فأومأت برأسي بالإيجاب، ليكمل بطفولية عارمة:

- وإنت يا «طارق» اللي مسكت العمليه ونفذتها؟

لم تكن إجابة هذا السؤال سهلة فنظرت إلى السقف وتأملت ماضيَّ للتو، ثم أجبت:

- ده فصل جديد من الحكاية، وبرضه لو سمعته مش



هاينفع تنساه.

بوضوح علقت، فلقد كنت على وشك الكشف عن دوافعي للتو، ولكني كنت أعرف أن «فارس» لم يعد بيده الاختيار وبعدما زرعت شخصيتي في عقله، فبات فقط ينتظر المزيد من المعلومات ليتقمصها متماهيًا في حياتي التي صارت حياته من لحظتنا هذه:

- إحكي يا «طارق»، خلاص (إحنا) بقينا واحد.

ابتسمت لاستسلامه وأخرجت حلقات الدخان الدائرية و(أنا) أتذكر حب حياتي الوحيد، لأقول شاردًا:

- المفروض كنت أنقذها، بس كل حاجه اتغيرت لمَّا قابلتها.

- هي مين!!

- «أميرة»

- مين «أميرة»؟

تساءل «فارس» في غيرة لأجيبه متذكرًا أميرتي التي كان «فارس» لا يزال يجهلها وإن كانت هي السر الحقيقي



خلف كل الأحداث، منذ قابلتها و(أنا) أزور «جنة» في قبرها بعدما أصر «ناصف» على ذلك في ذكرى أختي السنوية حيث حاول «ناصف» الحفاظ على جزء من آدميتي التي شك أنها لا تزال موجودة، ليجبرني في ذلك اليوم على الاستيقاظ مبكرًا والذهاب معه في سيارته الرباعية مرتدين بذلاتنا السوداء كعادتنا واضعين نظارات الشمس التي لم نعد نراها منذ صرنا ملوك الظلام.

- (أنا) مش عارف إيه حنية قلبك دي، إنت هاتصيع عليا!

قلتها إلى «ناصف» الذي أجبرني أيضًا على شراء تلك الورود التي أحملها رغمًا عني:

- أنا اللي مش عارف إنت بقيت جبله كده ليه! يا أخي دي سنوية أختك، مستخسر فيها نص ساعه وشوية ورد؟!

قالها «ناصف» قبل أن يصف سيارته عند المقابر، ليزداد نبض قلبي بالفعل شاعرًا بوجود أهلي للمرة الأولى منذ حين، لتهرب مني دمعة لاحظها «ناصف» حين رمقت قبر أختي، هذا المكان الذي صار ملجئي الوحيد من حينها، فهناك صرت أجد نفسي وسط سكوت الأموات الراقدين المستسلمين في انتظار حسابهم، لأدرك لوهلة أن تلك المحطة الأخيرة للقطار لا تحتاج إلى كل ما نسعى



لأخذه في رحلتنا، فكل الركاب يتصارعون على مساحات إضافية من الأمتعة التي سيتركونها قبل نزولهم، تاركين فقط رائحتهم على هذا المقعد الذي سيأخذه غيرنا، فأيقنت أن رائحتي لم تكن عطرة، بل كانت شديدة العفونة، مدركًا أنه عند تركي للقطار ستزداد وحدتي، فلن يكون هناك لي من سيزور قبري على أية حال، لأظل أرمق المقابر متسائلًا عن وحدتهم، فهؤلاء أجدادنا هناك لم يتبقَّ لهم من يزورهم، فكيف سيكملون مكوثهم حتى الحساب! أسئلة كثيرة ظلت تدور في بالي، حتى وجدت دموعي تنهمر بازدياد بينما يحاول «ناصف» تهدئتي:

- معلش يا صاحبي، تعيش وتفتكر.

- قلتلك مكنتش عايز أفتكر.

قلتها و(أنا) أترجل إلى المقبرة التي كانت مفتوحة، لأتعجب قبل أن ألمحها هناك في الداخل فالتفتت إليَّ، إنها أميرتي «أميرة» ذات الملاح الهادئة التي كانت تضع وشاحًا يغطي شعرها الذهبي وهي ترتدي الأسود؛ احترامًا لأختي وصديقتها الوحيدة التي كانت بيضاء كالملائكة، كلمات كثيرة ظللت أصفها بها حتى قاطعني «فارس» في غيرة واضحة:

- هي دي بقى «أميرة» يا «طارق»؟!



- أيوه هي دي بقى «أميرة» يا «فارس».

- حبتها بجد؟

تساءل «فارس» لأعود وأتذكرها، فكما ذكرت وأكرر بيضاء هي كالملائكة، وهذا لم يكن توصيفًا جسديًّا فقط، فلقد كانت طبيبة نقية مليئة بالرحمة:

- (أنا) كنت كتير بحاول أنسى اللي فات لغاية ما شوفتها، «أميرة» هي اللي فهمتني إني مش لازم أنسى، بالعكس أنا لازم أفتكر.

لاحظني «فارس» و(أنا) دامع العين ليمسك «فارس» بدبلة يده اليسرى في انكسار لا يخلو من غيرة:

- إحكيلي عنها أكتر يا «طارق».

- حاضر.

قلتها و(أنا) أتذكر هذا اليوم من الكافتيريا عندما قابلتها صباحًا لتؤذي الشمس عيني المريضة من أثر المخدرات، لأرتدي نظارتي الشمسية قبل أن تعلق هي:



- ماتخبيش عينيك من الشمس يا «طارق» استمتع بيها.

- معلش أصلي مابنزلش الصبح كتير.

قلتها صادقًا قبل أن تعلق ببراءة:

- خساره يا «طارق»، نور الشمس ده متعه.

ابتسمت لها مستسلمًا وخلعت نظارتي:

- حاضر يا ستي، طبعًا لازم كلام الستات هو اللي يمشي

Cest la vie

قلتها لتنتبه «أميرة» إلى جملتي التي عرفت مصدرها للتو:

- يااه Cest la vie دي جملة أختك، الحاجه الوحيده اللي اتعلمناها من الفرنساوي.

ابتسمت متذكرًا «جنة»:

- أنا كنت نسيت يا «أميرة».

بمودة شديدة اقتربت «أميرة» مني وكأنه رسول من



الخالق لتلمس يدي:

- إوعى تنسى يا «طارق»، اللي راح راح عشان يسيبلنا حاجه حلوه نفتكره بيها، وأختك كانت حلوه أوي، تستاهل نفتكرها، إوعى تنساها يا «طارق»... إوعى...

قالتها «أميرة» وهي تسحب يدها محرجة، وإن كانت تجهل أن رسالتها كانت كافية لتغير عمري بعدها، حتى أني الآن قد دمعت من أمام «فارس» الذي ظل يتساءل عن حبي لـ «أميرة» أكثر من أسئلته عن كراهيتي للعالم:

- ورجعت تفتكر يا «طارق»؟

تساءل «فارس» من الزنزانة ليلاحظ انكساري، فقلت له معترفًا:

- الصراحه آه، رجعت أفتكر أختي، وافتكرت نفسي اللي كنت نسيتها.

سكت لحظة مبتسمًا لأتهكم على نهايتي قائلًا:

- دايمًا يا أخي نهاية أي راجل بتكون على إيد ست، بس الصراحه «أميرة» كانت تستاهل.



لمعت عينا «فارس» الذي كان قد هيأ قلبه لحبها بالفعل:

- إيه اللي حصل؟ هي عملت إيه بالظبط؟ أرجوك إحكيلي عنها.

لم أنتبه إلى خطورة حديثي، أو لعلي أكون قد قصدت زراعة الفكرة لتنبت في عقله المريض لينتبه إلى ما تبقى لها من أيام.

- عملت اللي بتعمله أي ست لراجل ميت، حاولت تحييني يا «فارس».

- يعني حاولت تخليك تبطل مخدرات.. صح؟

- صح.

بالفعل كان ذلك ما حاولت «أميرة» فعله، خاصة بعد هذا اليوم الذي جاءت لتمرضني فيه عندما علمت بمرضي فطبيبة هي في الأساس، وأميرة للرحمة، وكان هذا بعدما حاولت (أنا) مقاومة حاضري، فبعد رؤيتها حاولت بجهل الابتعاد عن جرعتي المعهودة التي تقتل إنسانيتي التي كنت أحتاجها لحب «أميرة»، فحاولت التمسك بقوتي و(أنا) أرفض تلك الجرعة غير منتبه أني صرت عبدًا لها، وصارت هي إلهي، لأشعر بمدى عجزي وقلة حيلتي أمام

تلك الأقراص التي قتلت كل مشاعري، لأندم حين لا ينفع الندم و(أنا) أتألم في تلك اللحظة من أمامها، ليزداد همي من كسر صورتي التي عجزت عن الحفاظ عليها، ولكنها تحملتني فلقد كانت «أميرة» ترى ما في داخلي وأجهله، بينما (أنا) من أمامها كالثور الهائج في تلك الحالة الهستيرية أثر انسحاب جرعتي الأسبوعية ليظهر عليَّ الجنون، بينما تتمسك «أميرة» بمساندتي لتزاد في نظري رفعة وأزداد (أنا) دنوًّا، حتى اندفعت ودفعتها أرضًا رغمًا عني، و(أنا) تحت تأثير الألم، حتى انتبهت أخيرًا لجسدها الهزيل ينزف أرضًا، لأحاول للمرة الأولى السيطرة على جسدي، لأجثو إلى جوارها في خوف كالطفل أمام أمه:

- «أميرة»...إنتي كويسه؟

أمسكت بوجهي رغم ألمها لتقول:

- أنا كويسه يا «طارق» ماتخافش عليا.

- أنا آسف.

بطفولية اعتذرت و(أنا) أجهل ما يتوجب عليَّ فعله، لتوجهني هي رغم ألمها قائلة:

- ماتتأسفش يا «طارق» بس لو سمحت ساعدني...



ساعدني عشان أساعدك، أنا حبيتك يا «طارق» وإنت كان لازم تحب نفسك.

متهكمًا علقت على كلماتها:

- حبتيني (أنا) ازاي بس يا «أميرة»! ده (أنا) شيطان ماتحبش.

اقتربت «أميرة» مني لتهمس داخلي:

- محدش فينا بيتولد شيطان يا «طارق»، إحنا اللي بنختار.

شردت في كلماتها و(أنا) أحاول السيطرة على عقلي الذي بدأ في لحظات من التغير على تلك الأميرة التي كانت من رائحة جنة أختي.

- (أنا) عمري ما اخترت حاجه يا «أميرة»...مع ذلك اخترتك إنتي.

- بجد؟

- أكيد بجد، وهو مين يشوفك ومايحبكيش يا «أميرة»؟!

بهدوء أمسكت يدي قائلة:



- يبقى نثق فيا، أنا دكتوره، سيبني أساعدك.

- تساعديني أبطل؟

- لأ يا «طارق»...أساعدك تفتكر.

قالتها أميرتي ليزداد شوقي إليها، فلقد أعادتني إلى رشدي بعدما فقدت تذكرة عودتي، لأحاول حينها جاهدًا النزول من هذا القطار السريع المتجه إلى قبري لأصنع لنفسي رصيدًا يفيدني في الحساب.

- وافتكرت يا «طارق»؟

تساءل «فارس» من أمامي، لأكمل شرودي قائلًا:

- الحب بيعمل المستحيل يا «فارس»، بس (أنا) اكتشفت إن الثقة أهم من الحب، عشان كده لازم تختار اللي نثق فيه يا «فارس»، لازم تختار اللي يفكرك ماينسكش، يفكرك إنت حقيقي مين....

كانت تلك آخر كلماتي إلى «فارس» الذي خرج من عندي شاردًا يعرف بالضبط ما وجهته لفعله، لتحركه قدماه إلى حيث أحب (أنا)، ليجد «فارس» نفسه عندها



داخل ذلك المستشفى من خارج هذا الباب الزجاجي يرمق شعرها الذهبي فبيضاء هي كالملائكة.

دخل «فارس» غرفة «أميرة» في المستشفى ليشعر بشعوري، ويصبح حالي حاله، فلقد عرفها جيدًا من خلالي بالفعل، لحظات وهو يتأملها ظل يتذكر ذكرياتي معها بالفعل، جاهلًا ما يحدث، ولكنه استشعر نبض قلبه الغارق في حبها، ليزداد حزنًا من تلك المستشعرات التي تخترق جسدها من كل صوب، لتزداد حرارة دمائه من هول غضبه العارم، فلقد تحول «فارس» إلى آلة مستعدة للقتل في سبيلها، اقترب «فارس» من حب عمري لنقبل جبينها سويًّا، قبل أن أوسوس له ليفتح جفن عينها لأرمق مرة أخرى عسل الدنيا في عينها، لأهدأ أخيرًا و(أنا) أرمقها من خلال عينه متذكرًا رحلتي معها في الإقلاع عن التعاطي، تلك الرحلة القاسية التي تحتاج إلى هدف، وهنا تذكرت كلمات «أميرة» التي حددت لي الفرق بين الحلم والهدف.

- للأسف إحنا اتعودنا يا «طارق» إن الأحلام هي الحاجه اللي بنتخيلها ومابنقدرش نحققها لكن ده غلط، الخيال والواقع وجهين لعمله واحده، ربنا زرع الخيال في عقولنا عشان نقدر نحققه، بس عشان مخنا يفهم ده، لازم نخلي الحلم في صورة هدف.



ابتسمت لها ضاحكًا، فلم أكن أفهم كلماتها وإن كنت مستمتعًا بحديثها ونظري لها.

- ركز معايا.

- مش قادر.

- يا «طارق»!

- مش عارف أركز من عينيكي.

ابتسمت رغمًا عنها ولكنها تابعت:

- هاسيبك تعاكسني لو فهمت.

- إذا كان كده أكيد هافهم.

- اتفقنا...الأهداف يا «طارق» هي اللي بتخلينا نعرف نتحرك، وهي اللي بتخلي خلايا مخنا النايمة تفكر في اللاوعي لتحقيقها، عشان كده لازم تحط هدف قدامك، والهدف لازم يكون هدف ذكي.

قالتها لتشرح فكرة الأهداف الذكية التي يجب أن تكون محددة ونستطيع قياسها وتحقيقها، والأهم أن تحدد في



فترة زمنية واضحة لتستطيع عقولنا تحليل نتائجها، ورغم عدم كفاءة جسدي، إلا أن عقلي كان بالفعل قد هضم الهدف وحدد نتائجة المحدد في فترة قياسية لمحاربة شراسة السموم الهاجمة عليه، لتنجح عينها في استخراج الكثير من تلك السموم بمساعدة «أميرة».

تذكرت للتو ما أمتلك حينها من إرادة، مندهشًا من حالي الآن و(أنا) أرمق علبة أقراصي التي لا تزال في يدي حال الأقراص التي لا تزال في يد «ناصف» المتردد للعودة، ولكن لتلك قصة أخرى في السطور التالية.

* * *



(١١)

من بطن تلك الزنزانة التي حبست جسدي كنت (أنا) حرًّا أكتب ما في خيالي من أوهام معتمدًا على جرعتي الكريستالية الساحرة التي تكشف عني الحجاب، لأرى وأسمع ما يجوب بين الناس، فها (أنا) أرى «سمير السويفي» وهو هناك عند عقار عيادة الدكتورة «هدى» التي استطاع الوصول إليها بعد تتبع رجاله لـ «فارس»الذي لم يكن قد تعلم مني كل شيء بعد، ليصل «سمير السويفي» الذي دخل عيادتها بهدوء كمريض وهو يرتدي نظارته الشمسية بعدما حجز هو ورجاله جميع كشوفات اليوم، ليحيي الممرضة:

- مساء الخير.

- مساء النور.

أجابت الممرضة قبل أن يصل بقية رجاله ليمسكوا بها مغلقين الباب من خلفهم:

- إنتوا عايزين إيه.. حرام عليكوا!



حشا الرجال قطعة من القماش حشوًا في فم الممرضة، قبل أن تخرج الدكتورة «هدى» من الداخل لتجد «سمير السويفي» يتوسط رجاله في الخارج، بينما ممرضتها مقيدة على كرسي موضوع ناحية نافذة العيادة الكائنة بالطابق الرابع، لتدرك أن حركتها قد تودي بحياة ممرضتها البريئة، لتستسلم متسائلة:

- أقدر أساعدكوا ازاي؟

ابتسم «سمير السويفي» الذي صفق بقوة وسط العيادة منبهرًا بذكاء الدكتورة:

- واو.. ذكاء مختلف، دكتوره نفسيه حقيقي!

- أنا هاعمل اللي إنتوا عايزينه بس نزلوها.

- اتفقنا.

يقولها مشيرًا إلى رجاله الذين أنزلوا الممرضة، لتهدأ الدكتورة «هدى» متسائلة:

- وإيه المطلوب؟

- النجم...... «فارس».



فهمت الدكتور «هدى» للتو، لتبدأ جلستهما التي أعطت فيها «سمير السويفي» كل المعلومات التي أرادها، ثم كللت مجهودها في خيانة «فارس» بإعطاء «سمير السويفي» نسخة من ملف «فارس» الذي أمسكه الرجل مبتسمًا عند قراءة الاسم، فلقد كتبت وسجلت «هدى» ملف «فارس» باسم «المتقمص».. وقد كان هذا هو نفس الاسم الموضوع على سيناريو الفيلم الذي أعطاه «خالد» إلى «فارس» من قبل!

* * *

من المستشفى كان «المتقمص» «فارس» يكرر زيارته إلى أميرتي بالفعل يحاول خطف مشاعري بتماهٍ غير مسبوق، ممسكًا بيد «أميرة» الغائبة عن الوعي يحاول استردادها ولكنه كان قد علم مسبقًا أن كل تلك الأجهزة لا تفيدها بأي شيء، بل فقط كنت أحاول (أنا) تصبير نفسي بزيارتها ولكنها تعتبر ميتة إكلينيكيًّا بالفعل، كما أكد كل الأطباء بلا اختلاف فيما بينهم، ولكن في تلك اللحظة ضمت «أميرة» يد «فارس» ضاغطة عليها ليندهش وهو يقترب منها قبل أن يلاحظ أنها تضغط على دبلته في خنصره الأيسر لينتبه إليها منزعجًا، لا يفهم الرسالة ليعود بخياله إلى ماضٍ لم يستطع يومًا أن ينساه، حين لحق بزوجته «شهد» في جزر البهامز بعد تصويره لفيلم قديم؛ حيث تسنى له أن يعيش مع زوجته في تلك الرحلة شهر

عسل حقيقيًا رغم كل اختلافاتهما، فلقد استطاعت «شهد» في تلك الرحلة أن تتغافل عن كبريائها معطية الأولوية لـ «فارس» حتى يحقق لها حلمها في السفر كل تلك المسافة رغم خوفه المرضي من الطيران، لتشعر «شهد» معه بمشاعر حقيقية وممتعة جعلت الدنيا تتغير لها، ولكنها كانت تجهل أنها قد تأخرت قليلًا فلقد كان «فارس» بالفعل قد تعلق بـ «فاتن» ليشعر بصدمة هو الآخر الآن بعدما تغيرت معاملة «شهد» ليظل في حيرة من أمره! تارة يحاول إغلاق صفحة «فاتن» قبل أن تُفتح ويعب عليه ذلك مستقبلًا وتارة أخرى يهيب تغير «شهد» للأسوأ، فلقد كان المتغطي بها عاريًا بالفعل، فتقلبة المزاج والقرارات هي، حالها حال جميعهن..

رن هاتف «فارس» المستلقي بجانب زوجته المرتدية ملابس شاطئية زرقاء اللون على الشاطئ أسفل نخلة قصيرة، ليرفع «فارس» قبعته ليجد المتصل «فاتن» وبصنعة لطافة يهرع بعيدًا ليجيبها في توتر:

- إنتي مجنونه يا «فاتن».. بتكلميني هنا؟!

- أمال أكلمك فين؟ أنا مش عارفه أوصلك من امبارح!!

قالتها «فاتن» من تراس الشاليه خاصتها بالعين السخنة.



- ما أنا بكلمك لما بعرف.

- وهو أنا المفروض أبقى بريموت كنترول؟

- يا «فاتن» هانت كلها أربع أيام وراجعلك.

هدأت «فاتن» لحظة، ثم تابعت بغيرة:

- ومراتك هاتكمل بعدك قد إيه؟

- أسبوع بحاله يا حبيبتي، جهزيلي نفسك بقى..

ضحكت «فاتن» بأنوثة وهي تقول:

- أنا جاهزه، إتغذى إنت بس كويس.

ابتسم «فارس» الذي شعر بالإثارة قبل أن يلاحظ «فارس» اقتراب زوجته من بعيد.

- طيب معلش يا حبيتي أنا لازم أقفل دلوقتي.

قالها وأغلق متجاهلًا مشاعر «فاتن»، بينما اقتربت «شهد» من «فارس» مبتسمة.



- بتكلم مين يا روحي؟

- ولا حاجه يا عمري.. شغل.

- مش قلنا السفريه دي مفيش شغل؟

- وآدي التليفون قفلناه.

أغلق «فارس» هاتفه ووضعه في جيبه، ليضرب عصفورين بحجر واحيد؛ إرضاء لزوجته وخوفًا من «فاتن» التي كانت تحاول إعادة الاتصال بالفعل.

- على فكره السفريه احلوت لما انت جيت.

قالتها وهي تحتضن «فارس» في رومانسية، ليندهش متسائلًا:

- بجد!!

- أيوه بجد عشان كده عايزه أقولك حاجتين.

بخجل علقت، ليتساءل في حيرة:

- الأولى؟

- الأولى يا سيدي، إني عارفه إني قصرت معاك السنه دي جامد.

اندهش «فارس» لتكمل هي مزيدة من حيرته:

- أنا عارفه يا «فارس» إن حقيقي التقصير مكنش منك، التقصير كان مني أنا، أنا اللي مقدرتش أتأقلم مع شهرتك ونجوميتك، يمكن غيرت منك، أو يمكن غيرت عليك.

- هو إنتي لسه بتغيري عليا!!

يزداد استغرابه إذ هي تكمل مسترسلة بينما تلتف حوله في دلال لتعترف:

- أمال إنت شايف هروبي ده كان ليه؟ عشان مش قادره أصدق إنك بتاعي أنا، بتاعي أنا بس..

قالتها بدلال قبل أن تكررها بحدة أقلقته:

- مش إنت بتاعي أنا بس؟

- إنتي شايفه إيه؟



- شايفه إنك أوفى راجل في الدنيا، عشان كده عملالك مفاجأة.

تمنى «فارس» لوهلة أن تنشق الأرض لتبتلع أعماله:

- مفاجأة إيه أكتر من كده؟

- ما هي دي بقى ثانيًا، إحنا حجزنا معاك عوده على نفس طيارتك يوم الخميس.

ظهر الانصدام على «فارس»، لتكمل هي:

- أنا عرفت إن السفر ملوش طعم من غيرك، وبعدين لازم نحضر افتتاح الفيلم معاك، إحنا مش هانسيبك لوحدك تاني، وهارجع أنا والولاد معاك.. مبسوط؟

قالتها «شهد» وهي تشير إلى طفليهما اللذين رمقهما «فارس» للتو وهما يلعبان في الرمال من بعيد، في مشهد تمنى لو ظل إلى الأبد.

عاد «فارس» للتو من ذكرياته من جانب «أميرة» مستشعرًا ذلك الألم في صدره، ليحاول التوقف بصعوبة قبل أن تزيغ عيناه أشعة الشمس القادمة من خيالي،



ليبحث عن نظارته الشمسية ولكنه عجز عن الحركة فلقد بدا فجأة يخرج أنفاسه ثقيلة، حاول إمساك سرير «أميرة» المعدني هباء إلا أنه وقع أرضًا في فوضى أفزعت الجميع من الخارج، بينما ظل «فارس» يرمق أميرتي من أسفل بحنين غريب، محاولًا مد يده لتلامس إياها، قبل أن يدخل الممرضون ليسحبوه بعيدًا.

فلقد تعرض «فارس» للتو لوعكة أشبه بالذبحة الصدرية كان يجهل حال الجميع ممن يصابون بها للمرة الأولى سببها ولكني بالطبع كنت أعلم، غير أنني لم أساعد كل هؤلاء الأطباء الذين تقدموا للدعم الفني في محاولة لاكتشاف علة هذا الجسد الذي لم يصنعه بشر، ليكتشفوا ما لم يُحمد عقباه، الأمر الذي تطلب أقرب الأقربين للإفصاح عنه، ليحضر «خالد» مع «هشام» للاستعلام، فلم يكن ل «فارس» من الدنيا أحد من البشر.

- أنا مش عارفه أقولكوا إيه يا جماعه!

قالتها الطبيبة المسؤولة عن حالة «فارس» حرجًا من الردهة الخارجية أمام غرفته، ليتساءل «خالد»:

- ما تيجي دوغري يا دكتوره.. في إيه؟

- والله كل اللي أقدر أقوله إنها أعراض الانسحاب.



تعجب «هشام» مذهولًا، فلم يتخيل أن يكون «فارس» مدمنًا!

- مخدرات يعني!!

- أيوه يا فندم، واضح إنه مبطل جديد، ودي أعراض طبيعية جدًّا نظرًا للكمية اللي كان بيتعاطاها.

- كمية!!!

تهكم «خالد» لتكمل الطبيبة:

- أيوه يا فندم، واضح إن نجمنا كان مقضيها.

- «فااارس»!!! ده مستحيل...

- المستحيل إن تكون التحاليل دي غلط، إحنا عدناها أكتر من مره عشان نتأكد إن مفيش أي نسبة خطأ.

بقسوة أكدت المعلومة، جاهلة مصدر تلك المخدرات التي كنت قد زرعتها (أنا) في عقله مسبقًا.

- إحنا للأسف كنا فاكرين الأستاذ «فارس» قدوه، بس



نقول إيه يمكن الظروف اللي مر بيها كانت السبب.

قالتها متنهدة قبل أن يتدخل «هشام» بحرفية:

- طيب هاستأذنك يا دكتوره أنا مش عايز حد يعرف حاجه.

بتهكم وتعالٍ تساءلت الطبيبة التي كانت توجه الحديث إلى «خالد» في الأصل:

- وهو حضرتك مين؟!

ابتسم «هشام» مجيبًا الإجابة الأحب إلى قلبه:

- مقدم «هشام السويفي» من المباحث.

قالها لينهي ذلك الحديث من فوره، بعدما استسلمت الطبيبة لحفظ معلومات المريض سرية، ولكن بالطبع لم تكن معلومات تخص شخصًا كـ «فارس» لتظل بعيدة عن الأنظار؛ الأمر الذي أغضب «خالد» ليدخل مهاجمًا «فارس» في غرفته بشراسة وضيق بينما كان «هشام» قد تبع الدكتورة لإنهاء الإجراءات:

- مخدرات يا «فارس».. مخدرااات!!



اندهش «فارس» من دخول «خالد» بتلك الطريقة ليتساءل:

- مخدرات إيه.. مش فاهم حاجه!

- إنت هاتستعبط؟ ما الدكتوره قالتلنا على كل حاجه، إنت كنت مدمن يا «فارس»؟!

- بس أنا عمري ما أخدت مخدرات يا «خالد».

بقوة قالها «فارس» ليربكهما، ولكن «خالد» امتنع عن تصديقه:

- اكدب طبعًا.. ما أنا هاستنى إيه من واحد مدمن؟

أغضبت «فارس» كلمات «خالد» ليقترب منه في غضب ليرفعه بصعوبة إلى الحائط، ليصرخ «خالد» مستغيثًا:

- لا إنت اتجننت خالص!!

من الخارج دخل الغرفة «ناصف» للتو والذي كان «فارس» قد اتصل به منذ عاد هو لوعيه:



- إيه ده في إيه يا نجم! هدي نفسك الراجل مش قدك.

وهو يدنو ليحاول تهدئة رب عمله، ليستجيب «فارس» لصديقي بالفعل تاركًا «خالد» قبل أن يتقهقر إلى الخلف حيث كان ظاهرًا عليه التعب فيجلس على السرير.

- وإنت مين يا صايع؟ وإيه اللي دخلك هنا؟

- ليه الغلط بقى؟ ده إنت تستاهل صحيح، أنا بودي جارد الأستاذ «فارس»، وهو اللي مكلمني عشان آجي.

- جارد كمان!!!

قالها «خالد» متعجبًا في لحظة دخول «هشام» الذي رمقه «ناصف» للتو فزعًا فلقد عرفه من فوره، باحثًا عن إصابة يده المتعافية في فضول:

- في إيه! وإنت مين يا بني!!

تدخل «فارس» مقاطعًا، قبل أن يجيبه «خالد»:

- ده صاحبي يا سيادة المقدم.



- صاحبك!!!

اندهش «هشام» نظرًا لهيئة «ناصف» واختلافه، لينقذه «فارس» الذي أخذ يرتدي بقية ملابسه:

- يالَّا بينا يا «ناصف».

بتعب وإرهاق قالها «فارس» ليسانده «ناصف»، قبل أن يستوقفه «هشام».

- على فين؟!

ابتسم «فارس» مقتربًا من «هشام»:

- ماتخافش يا باشا، هاتعرف اللي إنت عايزه، وترقيتك هتاخدها.

توتر «هشام» الذي حاول حفظ ماء وجهه مكررًا سؤاله:

- ده مكنش سؤالي، أنا بسأل على فين دلوقتي بحالتك دي!

- معلش لازم أروح مشوار مهم وبعديها علطول هاجيلكوا.



التف «فارس» إلى «خالد» هو الآخر:

- ماتخافش يا «خالد»، قصتك هتاخدها ومن أحسن مؤلف كمان.

بصدق نية قالها «فارس» الذي كان عقله يتلاعب بجسده، في جهل منه للحقيقة التي حاول البحث عنها، فهو يعرف أنه لم يكن مدمنًا قط، ولكنه لا يستطيع حتى الوثوق في نفسه، فظن أنه قد يكون تقمص حالتي الصحية حال عقلي المريض، فهل يعقل؟!

ابتسمت من داخل محبسي و(أنا) أكتب داخل عقله تلك التساؤلات بينما هو يخرج من غرفته متكأً على «ناصف» صديقي، يتحركان داخل ممرات المستشفى لأوجه كل منهما ليعبرا من جانب غرفة أميرتي لأطمئن عليها، ليخطف كل منهما نظرة إليها في انكسار، ولكني استطعت في تلك اللحظة الانتباه لذكرى داخل عقل «ناصف» حين ذهب إلى «ناصر شكري» مبلغًا إياه باعتذاري عن مهمة الكريستال بعدما بدأت بالتعافي من الإدمان بفضل «أميرة»، ولكن ما لفت انتباهي هو حقيقة دوافعه، فلم يذهب بحسن نية كما ظننت، وهذا كان فصلًا آخر في روايتنا.



* * *



(١٢)

من داخل مكتب «ناصر شكري» تجمع ثلاثتهم، فقد كان من أمامه «شوكت العلايلي» و«ضرغام نصر» يجلسان بينما «ناصف» يقف في محاولة كنت أجهلها لأخذ مكاني وهو يقول وسط تلك الإضاءة الخافتة:

- يا باشا طارق خلاص مابقاش معانا.

- يعني إيه مابقاش معانا؟ هو لعب عيال؟!

غاضبًا علق «ناصر شكري» قبل أن يضيف «شوكت العلايلي» طمعًا:

- دي بضاعه بملايين.

- أنا من الأول مكنتش عايز أعتمد على واحد ملوش كبير.

ضاربًا تحت الحزام علق «ضرغام نصر» ليزيد من استياء «ناصر شكري».



- تقصد إيه يا «ضرغام»؟

- مش وقته دلوقتي.

تدخل «شوكت العلايلي» خائفًا على مصلحته، ليقاطعه «ناصر شكري» في كبرياء:

- «ناصف» اللي هايقوم بالموضوع.

ابتسم «ناصف» للتو بعدما أخذ خطوته الأولى في الاستقلال عني، تلك الخطوة التي دفعت (أنا) ثمنها جاهلًا حسن نيته من شرها!

- سرحان في إيه يا «ناصف»؟

تساءل «فارس» للتو من داخل سيارته التي كان يقودها له الآن «ناصف» الذي تعامل معه كحارس شخصي بالفعل.

- ولا حاجه يا كبير ماتشغلش دماغك، المهم المكان فين بالظبط يا صاحبي؟

ابتسم «فارس» عند سماع كلمته المفضلة ليجيبه:



- العماره الجايه.

صف «ناصف» سيارته جاهلًا هذا المكان الذي طلب «فارس» التوجه إليه وقد كان عقار عيادة الدكتورة «هدى». ترجل «ناصف» وأخذ يساعد «فارس» على النزول من السيارة ليدخلا سويًا في فضول من «ناصف» الذي كان يجهل خلل «فارس» العقلي، لتظل التساؤلات تطارده وهو في استقبال تلك العيادة النفسية التي لم يدخل «ناصف» مثلها، فالمرض النفسي هو آخر ما يثير اهتمامه ومن حوله، ولكنه لم يجهر بتهكمه ريثما ينتظر «فارس» بعدما دخل إلى طبيبته «هدى» التي لم تحسن استقباله، فلقد كان وجوده يشعرها بتأنيب الضمير عند تذكرها لخيانته له خوفًا من «سمير السويفي» ولكنها اضطرت على أية حال إلى أن تتجاوب آنذاك، خاصة أن أسئلة «فارس» استفزت علمها:

- التقمص مش معدي عشان جسمك يتعدي من «طارق»، يا «فارس»، مفيش أي حاجه اسمها كده.

لم يوافقها «فارس» بعد أن كان قد استثمر وقته السابق في البحث على صفحات الإنترنت المليئة بمعلومات واهية يستمد الجميع معلوماتهم منها.

- بس أنا قريت عن حالات حصلت زي التخاطر.



اعترضت الدكتورة «هدى»:

- يا «فارس» إنت راجل متعلم، دي كلها خرافات، دي مواقع بتلعب على فضول الناس، عشان تجيب إعلانات مش أكتر.

- يعني محصلش قبل كده إن كان فيه حالات تخاطر؟

سكتت الدكتورة «هدى» التي لم تستطع إنكار الكثير من الحالات التي حدث بينها «تخاطر فكري»، تلك الحالات التي تشبه ما أفعله (أنا) بعقل «فارس»، ولكنها بالطبع كانت ترفض الاعتراف بتلك الحالات:

- كل اللي بتتكلم فيه ده مجرد ادعاءات.

- لأ في فعلًا أكتر من حاله تم إثباتها لناس تقمصت حياة بني آدمين ماتعرفهاش ولغات مكنتش حتى درساها.

لم تستطع «هدى» إنكار كل تلك الوقائع التي تغازل العقول النيرة، لتتدخل بطريقة طبية:

- حتى لو كان يا «فارس»، كل دي كانت تشابهات



نفسية مش أكتر، لكن مفيش حد جسديًا اتأثر بحد، تاني هاقولك إن ده كلام مش علمي بالمره.

ظل «فارس» متمسكًا بأمانيه، ليعلق:

- بس إنتي قولتيلي إن علم النفس أحيانًا بتكون له أعراض جسديه.

- طبعًا الحاله النفسيه بتأثر على الجسم، عشان كده كتبتلك علاج يا «فارس»، لكن اللي إنت بتقوله ده ماورائيات!!

انزعج «فارس» بشدة، إذ لم يفهم كيف كانت تحاليله تجزم بتعاطيه المخدرات مسبقًا!

- أومال إيه!! أنا قريت التقرير نفسه، تحاليلي كلها بتقول إني مدمن أو على الأقل كنت مدمن!!

ابتسمت «هدى» وهي تتساءل في ذكاء:

- ومين قال إن التحاليل دي غلط؟!!

- ازاي؟! أنا عمري ما خدت مخدرات يا دكتوره.



اقتربت «هدى» من مكتبها مستمتعة بتلك الفقرة التي تكسر فيها مشاعر مرضاها، لتقول بنبرة العارف لما يجهل «فارس»:

- إنت متأكد يا «فارس»؟!!

توتر «فارس» للتو و(أنا) أزرع بسرعة تلك الأفكار داخل عقله، لمشاهد متفرقة لجرعات من الكريستال، ولكنه ظل يعارض الفكرة عكس عادته ليحاول الرجوع إلى الدكتورة «هدى».

- يعني إيه يا دكتوره؟! هو (أنا) كنت مدمن؟!

ابتسمت «هدى» المستمتعة على كل حال، سواء بكشف الحقائق أو تزييفها!

- واضح إنك فعلًا بتتعالج يا «فارس»، والدليل إنك بتفتكر.

قالتها لتساعدني على ري فكرتي في عقله، لتبدأ تنبت تدريجيًّا و(أنا) أكتبها للتو:

- الكريستال اللي كنت بتتعاطاه يا «فارس» فيه مادة الـ «إل إس دي»، ودي من أخطر المواد في الدنيا، دي



مش بس بتموت المخ، لأ دي بتخلي البني آدم مش عارف يفرق الحقيقه من الهلاوس.

أحسنت الدكتورة القيام بدورها، ليمسك «فارس» رأسه مستسلمًا:

- هو اللي أنا فيه ده هلاوس؟!!

بهدوء تابعت «هدى» بحرفية:

- الأصوات اللي في خيالك هي الهلاوس، ولو عايز حقيقي توقفها لازم نحل الـroot cause.

سكتت لحظة ثم ترجمتها ليفهم المصطلح:

- يعني أساس المشكله يا «فارس».

- مش فاهم!

- يعني لازم ترجع تفتكر اللي حاولت تنساه.

قالتها ليتذكر للتو أميرتي التي جعلت كل منصف يتذكر ما حاول أن يتناساه، فها هو «فارس» يعود فجأة إلى شاطئ البهامز ليجد نفسه هناك ومن أمامه على بعد زوجته



بملابسها الشاطئية الزرقاء تلاعب طفليهما بينما «فاتن» على سماعة هاتفه الخلوي تحاول بشدة جذبه للعودة، ليستسلم رغمًا عنه، ففي تلك اللحظة بالتحديد تمنى لو ظل إلى جانب عائلته، لتلاحظ «شهد» من بعيد تغير ملامح «فارس» الحقيقية فلم يكن يمثل في تلك اللحظة؛ لذا بدا صادقًا بالفعل، ليصل صدقه إلى قلبها لتقترب منه قلقة:

- في إيه يا «فارس»؟

ظل «فارس» صامتًا للحظات، يحاول بالفعل مواجهة أخطائه في بطولة حقيقية أهم من جميع أدوار أفلامه، ولكن توجب عليه المتابعة في كذبة أخيرة:

- ولا حاجه، بس عندي مشكله جامده في الفيلم.

- إحنا مش قلنا هانفصل من الشغل؟

تابع «فارس» كذبته مستعينًا بمهارته التمثيلية:

- أيوه يا حبيبتي، بس عرض الفيلم يوم السبت إنتي عارفة، وفي مشهد لازم يتعاد.

- يتعاد؟!!



ثم أردف ممعنًا في حبك كذبته:

- أنا مش مصدق بجد، حتى سفريتي اللي بسافرها مره في السنه بيبوظوها!

- طيب إهدى بس، بلاش عصبيه.

لاحظ «فارس» أن كذبته قد مرت على زوجته ببساطة، مما زاد من حزنه فلم يستطع الجهر بالحقيقة شاعرًا بمرارة سره الذي كسر ظهره.

- بس يا «شهد» أنا ما صدقت أسافر أفصل يومين.

- طيب ما إنت سافرت وانبسطنا خلاص مع بعض.

- لأ يا «شهد» أنا بجد كان نفسي أكمل معاكوا السفريه.

كان بالفعل صادقًا في مشاعره، خاصة مع تغير طباع «شهد» التي اهتمت بعمله عكس الماضي:

- والفيلم يا «فارس»؟ ده أول بطولة سينما ليك يا حبيبي، وإنت كان نفسك تحقق نفسك في السينما زي التلفزيون.



سكتت لحظة واضعة يدها على كتفه، ثم تابعت:

- طب قولي هما عايزينك إمتى؟

- بكره.

- بس إحنا كده مش هانلحق، ده مفيش طيران مباشر من هنا، وحاجة العيال دي فيها يوم لوحده.

هرب «فارس» من نظراتها قائلًا:

- خلاص يا روحي ماتشليش هم، أنا هانزل لوحدي.

- بس أنا ما صدقت ننزل سوا يا «فارس».

كانت بالفعل «شهد» قد عدلت من تذكرتها مسبقًا لتعود مع زوجها، في الحادي والثلاثين من أكتوبر، مبكرًا عن ميعاد عودتها بأسبوع، ليضطر «فارس» الآن تعديل تذكرته منفردًا يومين.

- معلش يا روحي، هما يومين وهاشوفك.

قالها صدقًا قبل أن تهرب للتو دمعة من عينيه داخل عيادة الدكتورة «هدى» التي شعرت بفخر بنجاحها وهي



تستمع لكلمات «فارس» الآتية:

- أنا عمري ما نسيت الأيام دي يا دكتوره مهما حاولت، دي كانت أحلى أيام ليا مع «شهد» وولادي.

- واليومين اللي بعدهم؟

تساءلت الدكتورة «هدى» بشر لا يخلو من مصلحة:

- برضه عمري مانسيتهم.

قالها متذكرًا عودته، خاصة حين وصل إلى شاليه «فاتن» حسب اتفاقهما سويًّا، وإن كانت نيته قد تغيرت بالفعل، فإذا بها تنفعل في غضب بالغ:

- يعني إيه؟!

سكت «فارس» هربًا من نظراتها، لتتابع هي ثورتها:

- يعني إنت راجع بدري مخصوص عشان تقولي إنك مش هاتقدر تكمل معايا يا «فارس»؟!

- أنا آسف بس كان لازم آجي أقفل الصفحه دي بنفسي.



لم يستطع «فارس» تحسين كلماته، فلقد كان هناك ثمن توجب دفعه من شخص ما.

- بس أنا حتى مطلبتش منك أي حاجه يا «فارس».

- مكنش لازم تطلبي، عشان مش هتلاقي عندي حاجه أديهالك.

- بس أنا حبيتك، حبيتك أوي يا «فارس».

تردد «فارس» وهو يرتجف في محاولة للقيام بالأمر الصحيح، لينطق بحقيقة كان بالفعل يجهلها:

- وأنا.... بحب مراتي يا «فاتن».

مسحت «فاتن» دمعة هاربة منها، واقتربت من «فارس» بحنيتها المعهودة:

- مش مهم حبيت مين فينا يا «فارس»، المهم تحب نفسك، عشان بجد إنت تستاهل تحب.

ابتسم «فارس» رغم آلام قلبه، ليكمل الحقائق التي واجهها للتو:



- يمكن أكون حبيت «فاتن»، بس «شهد» مكنتش تستاهل تتخان.

بصدق قالها قبل أن يعود إلى حاضره ليستكمل سرد مأساته بين يدي طبيبته:

- ومكنتش تستاهل إنها تموت.

بدموع قاسية قالها وهو يتذكر الحادي والثلاثين من تشرين الأول، حين ذهب إلى المطار في انتظار عودة زوجته وطفليه في الرحلة التي عدلتها «شهد» لتصاحب «فارس» الذي تركها كعادته وسبقها عائدًا، ليحاول تصحيح خطأ لم يستطع الفرار منه، فلم تصل أبدًا تلك الطائرة، التي سقطت في المحيط حارمة إياه من نظرة أخيرة لثلاثتهم الذي تركهم ليواجهوا مصيرهم من دونه، ليظل خياله الفني يرسم تلك الصورة الأخيرة لهم عندما استنجدوا به جاهلين عجزه لمساعدتهم، لينكسر داخل «فارس» ما يعجز أي رجل عن إصلاحه، فلقد كان يعلم أن تلك الرحلة كانت رحلته هو، مما جعله لا يكف عن سؤالي (أنا) عن سبب اختياري لهم دونه، جاهلًا أن هناك دائمًا حكمة يعلمها الخالق فقط دون غيره، فيجهل دائمًا العباد غاية خالقهم، معاتبين إياه كفرًا عن أسباب لا تستوعبها عقولهم، ولذلك كان أمر الخالق نافذًا في طاعة واستسلام



عباده لأمر سيطلعهم عليه عند الحساب.

- أنا حتى معرفتش أدفنهم!..

قالها «فارس» متذكرًا جنونه حينذاك الحادث، إذ لم يزل باحثًا عن ثلاثتهم أينما ذهب، فظل يدخل غرفهم بالمنزل حيث كان يسمع ضحكاتهم، ولكنه لم يجدهم أبدًا، رغم علو أصواتهم داخل عقله، تلك الأصوات التي ظلت تعلو يومًا بعد يوم، محدثة ضجة أزعجته، لتودي به إلى الاستسلام للمرض، حتى سقط يومًا لينتقل إلى ذلك المستشفى الذي دخلت فيه أميرتي للتو بجانبه، ليتم وضع كل منهما في غرفة، هكذا كتبت وهكذا خططت مسبقًا:

- أخيرًا افتكرت يا «فارس»!

قالتها الدكتورة «هدى» بينما تابع بكاءه ندمًا:

- مكنش المفروض يموتوا بدالي يا دكتوره!

ابتسمت «هدى» لتلك الظاهرة الصحية، ملفتة انتباهه إلى ما أنكره:

- إنت أول مره تعيط يا «فارس» من ساعة الحادثه..



سكتت لحظة قبل أن تتابع صدقًا دامعة العين:

- إنت بتخف يا «فارس».

- أخف ازاي يا دكتوره! بعد ما فهمت إن أنا اللي قتلتهم!

- ده كان عمرهم يا «فارس».

متذكرًا رحلته الأخيرة معهم أردف:

- بس دي كانت أحلى سفريه ليا معاها.

- ودي كانت أحلى نهايه يا «فارس»، إنت اخترتها في الآخر، ورفضت تخونها رغم كل الإغراءات.

رغم صدق الدكتورة «هدى»، إلا أن عقل «فارس» كان رافضًا الاعتراف إلا بذنبه:

- بس كنت فكرت أخونها يا دكتوره.

- مفيش راجل مفكرش في الخيانه، ده دور البني آدم، وده دور شيطانه، الفرق إنك ماستسلمتش لشيطانك، إنت مخونتش يا «فارس».



وقفت الدكتورة «هدى» مستمتعة في الاسترسال بشرحها:

- إنت حبيت يا «فارس»، حبيت بكل شخصياتك، أصل إنت اللي زيك بيعيش حيوات كتير ويموت لو عاش حياه واحده، هي دي علتك يا «فارس»، وإنت أكتر واحد بتدفع تمنها.

صدقت الدكتورة «هدى» في وصف المتقمص الذي كان علته هي عمله ليتماهى فيه يومًا بعد يوم، وشخصية تلو الأخرى، حتى كاد ينسى الفارس الذي في داخله، لتتابع «هدى»:

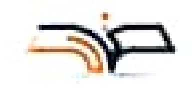
- و«شهد» كانت عارفه ده؟

- هي كانت عارفه كل حاجه...

قالها ثم مسح دموعه، ليقول متذكرًا ذنبه:

- أنا أكتر حاجه مزعلاني إني ملحقتش أقولها قد إيه كنت فعلًا بحبها.

- الحب مش بالكلام يا «فارس»، هي عرفت في الآخر



لما حقيقي صدقتك، المشاعر عمرها ما بتكدب، مهما كان الممثل شاطر.

- واضح إنك عرفتي تعالجيني أخيرًا يا دكتورة.

ابتسمت الدكتورة، سعيدة بتقدمها، لتقول مادة إليه يدها:

- أتمنى يا «فارس»، وأتمنى ما شوفكش هنا تاني قريب.

وقف «فارس» مبتسمًا وهو يحييها متفهمًا ليغادر قبل أن تناديه:

- «فارس»!!

التفت «فارس» في هدوء نفسي بعدما قلت أصواتهم في ذهنه:

- خد بالك من نفسك، وماتصدقش كل حاجه، إنت مش مجرد دور، إنت فنان.

قالتها مرضية إياه وإن كانت تجهل الدور الذي ينتظره في الساعات القادمة، فلم يكن أبدًا «فارس» بطلًا عاديًا، بل كان ذلك البطل الذي تحبه رغم إخفاقاته، حيث كاد يقنع جمهوره أنه من لحم ودم، حتى أنني (أنا)



كدت أصدقه!

* * *



(١٣)

من سيارته كان «فارس» جالسًا في شرود بعد انتهاء جلسته مع الدكتورة «هدى»، ليحاول «ناصف» استنتاج ما حدث وهو يقود جاهلًا غايته:

- وحلو كده على بقى الدكاتره النفساويين دول؟

لم يجب «فارس» الشارد في هومه، ليتابع «ناصف» في حيرة:

- طب على فين يا نجم فهمني؟

- السخنه.

- أفندم؟!

تساءل «ناصف» مستوقفًا السيارة، ليكرر «فارس» في ثقة:

- بقولك إطلع على السخنه.



- دلوقتي؟!

- هاتسوق ولّا أسوق (أنا)؟

- لا وعلى إيه، ده إنت طبعك حامي زي صاحبنا...

قالها «ناصف» متذكرًا إياي وهو يطقطق رقبته مبتسمًا، ليبدأ رحلته إلى مدينة العين السخنة التي لا تتجاوز التسعين دقيقة، في تلك الرحلة ظل «فارس» يتذكر ماضيه متمسكًا به بعد شهور طويلة من ضياعه، ليصل إلى قرارات مختلفة فور وصوله إلى هذه القرية الصغيرة المطلة على البحر، ليزداد توتر «فارس» من اللقاء، وهو يشرح إلى «ناصف» أين يصف السيارة، ليترجل منها أخيرًا أمام شاليه «فاتن» ليخرج من جيبه مفاتيح الشاليه قبل أن يتردد ليعود بإدخالها في جيبه وهو يضغط الجرس، لتفتح من الداخل «فاتن» مندهشة.

- «فارس»؟!

تسمر «فارس» في مكانه لتمسك به ساحبة إياه إلى الداخل في فرحة:

- إيه المفاجأه الحلوه دي! ومفتحتش ليه بمفتاحك؟



لم يجب «فارس» لتبدأ «فاتن» بالتوتر:

- مالك يا «فارس»؟! شكلك يخض!

تحرك «فارس» في هدوء ثم جلس متنهدًا:

- أنا افتكرت..

في قلق تتساءل «فاتن:

- افتكرت إيه؟!

- عيلتي.

ناظرًا أرضًا قالها لتُحرج هي أيضًا.

- كنت فاكره إني قدرت أنسيك.

- بس أنا مش عايز أنسى يا «فاتن».

قالها متذكرًا أميرتي التي علمتني فن التذكر مسبقًا، لتدمع عيناي و(أنا) أكتب المشهد حيث بدت «فاتن» الآن مكسورة بعدما فهمت الرسالة.



- أنا حبيتك أوي يا «فارس».

لم يتأثر «فارس» الذي كان في عالم آخر.

- بس أنا مابقاش فيا حاجه تتحب يا «فاتن».

حاولت «فاتن» الاقتراب منه، ليبادر بصدها معتذرًا:

- أنا آسف.

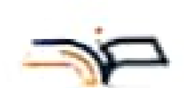
بدأت «فاتن» في الانهيار بعدما شعرت بفراق أغلى ما كانت تظن أنها تملك، فلم يكن «فارس» أبدًا معها، بل كان شاردًا مشتتًا منذ لقائهما الأول:

- ماتبعدش عني يا «فارس»، أنا مكنتش السبب.

حاولت «فاتن» الدفاع قبل أن يفتح عليها هجومه:

- يمكن.

ببرود علق «فارس» ليتركها ويخرج إلى التراس المطل على البحر ليجدها هناك، أجل إنها «شهد» التي لا تزال ترمقه بفستانها الأزرق، جعلت تراقبه ممسكة بسكينها، ثم ها هي تقترب أكثر فأكثر بهدوء لم يخف «فارس»،



ولوهلة نتوقف هي مندهشة من ثباته، قبل أن تسقط سكينها مستسلمة بعدما اكتشفت أنه لم يعد يبالي بالعتاب، بل قرر دفع الثمن، ليعاود «فارس» إلى الداخل تاركًا ذكرياته خلف ظهره تقدم ليدنو من «فاتن»:

- أنا كمان حبيتك أوي يا «فاتن»، بس لازم واحد مننا هو اللي يدفع التمن.

كان «فارس» مكسورًا لم يعد يمتلك مشاعر مستقرة، لم يعد حتى يحب نفسه، بل كان لا يزال يعاتبها على خسارته، تلك الخسارة التي لا يستطيع وصف ألمها إلا من شعر بعمق جرحها، وها هو الآن يحاول فتح صفحة جديدة في تذكر ما مضى عله يكتشف ما هو آتٍ! ليأخذ «فارس» بيد «فاتن» ويرفعها مقبلًا إياها مودعًا بكلمة وحيدة:

- ....إنتي طالق...

كانت تلك هي نهاية صفحة من المسكنات التي لم يعد «فارس» في حاجة إليها بعدما تقبل أخيرًا مواجهة الألم، تاركًا إياها في آلامها عائدًا إلى صمته في رحلة عودته إلى القاهرة حيث يحاول فيها «ناصف» مرارًا فهم الأحداث ولكنه فشل، حتى عبرا سويًا بوابة القاهرة ليلًا حيث كانت الأمطار قد أخذت تهطل لتوها.



- حمد لله على السلامه.

لم يجب «فارس»، ليتابع «ناصف»:

- ما ترد عليا يا نجم.

- إركن هنا.

- أفندم!!

اندهش «ناصف» متسائلًا، و«فارس» يكرر عليه بحزم:

- بقولك إركن هنا..

صف «ناصف» السيارة متوترًا، ليترجل «فارس» ويلتف حول السيارة فاتحًا باب «ناصف» المتسمر ذهولًا:

- إنزل.

- أنزل فين في المطره دي بس؟!

- في مشوار لازم أعمله لوحدي.



بهدوئي قالها، ليجبر «ناصف» على الاستسلام، خارجًا وسط الأمطار وفي لحظات كان الأخير قد قفز إلى مقعد السائق وأسرع بالقيادة تاركًا «ناصف» وحيدًا تحت زخات الأمطار المنهمرة.

- دي مش أخلاق نجوم، دي أخلاق صيّع أقسم بالله.

قالها لنفسه وهو يطقطق رقبته، ثم أمسك بهاتفه ليجري اتصالًا بسيده الجديد «سمير السويفي» الذي أمره بالقدوم إليه ليعطيه التقرير اليومي عن متابعة «فارس»، ليصل «ناصف» عنده في لمح البصر، ليقف «ناصف» أمام «سمير» الذي كان مستاءً وهو يدخن سيجاره الكوبي بينما يتابع «ناصف» التحدث عن «فارس» خاصة في هذا اليوم:

- يا باشا أنا كأني مع «طارق» بالظبط.

- طيب مقدرتش عليه ليه؟

تساءل «سمير السويفي» قبل أن يردف متهكمًا:

- ما إنت خنت «طارق» قبل كده.. إيه الجديد؟

قالها بحدة جرحتني و(أنا) أدون الأحداث بينما يكمل



صديقي سوءه:

- يا باشا أنا عشانك أبيع الدنيا كلها.

مقززًا كان وهو يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!

- لأ ده مش عشاني، عشان ده كان تمنك.

بقسوة يستحقها «ناصف» قالها ثم تابع ذله:

- والصراحه كل حاجه ليها تمن بتبقى رخيصه.

لم أستطع (أنا) استكمال هذا المشهد المؤذي إلى نفسي من خيانة صديقي على مدار عهوده، فتركته وعاودت إلى البطل حيث كان «فارس» قد اقترب مني بالفعل حيث صف سيارته للتو عند مدخل هذا السجن الذي فتح له الأبواب ليعبر إليَّ فقد كنت في انتظاره، فلم يعد لي غيره الآن خاصة بعدما بدأت أدرك الأحداث التي كان «فارس» لا يزال يبحث عنها، فابتسمت له:

- راجع تسأل على إيه يا «فارس»؟!

- عن النهايه..



لم يكن يعرف أنه عاد إليَّ هروبًا من حقيقة حياته:

- هو إنت قمت بعملية «الكريستال» يا «طارق»؟!

ابتسمت مجددًا احترامًا لمجهوده.

- آه صحيح.. ما هو (أنا) ماحكيتلكش إن الشياطين التلاته اتفقوا عليا.

- «ضرغام» و«ناصر» و«شوكت»؟

أجاب «فارس» مستفهمًا.

- بالظبط كده، بس هما ماواجهونيش عشان جُبنا.

قلتها و(أنا) أتذكر الأحداث، فلقد عرفت حينها أن ثلاثتهم قد اتفقوا على أن يجبروني على القيام بالعملية رغمًا عني، بعدما استدعوني لمقابلتهم والتي رفضت حينها الخضوع لهم، فلقد كنت سعيدًا بطهارتي أخيرًا، وحاولت بالفعل التطهر من ذنوبي.

- يعني دي كلمتك الأخيره يا «طارق»؟

تساءل ثلاثتهم، لأجيبهم صدقًا:



- (أنا) خلاص يا جماعه دفعت تمن كل حاجه، وسددت اللي عليا كله، وأعتقد جيه الوقت إني أطلب حريتي من غير شروط.

- بس العمليه دي اترتبت عليكوا.

- عندكوا «ناصف» ممكن يكمل، هو لسه معندوش اللي يخاف عليه.

- يعني إنت بقى عندك؟

تساءل ثلاثتهم مستغلين نقطة ضعفي الوحيدة، وهي «أميرة» المقيمة بمنزلنا في تلك اللحظة التي غبت فيها عنها ليستغلها الجاني ليطعنني في أعز ما أملك، حيث تهجم مجموعة من الرجال على منزلنا الذي تركت فيه «ناصف» لحمايته بعدما استخلفته على طريقي القديم، ولكني وجدته هناك مستلقيًا على الأرض ينزف دماءه فاقدًا الوعي، لأحاول (أنا) الإمساك به مستعلمًا عما حدث في غيابي:

- «ناصف» فوق يا صاحبي، رد عليا، مين اللي عمل فيك كده؟

حاول «ناصف» مقاومة الألم.



- الكبار يا صاحبي..... مكنش ينفع تقول لأ.

قالها والدماء لا تزال تنزف من يده التي ثقبها عيار ناري غشيم.

- ماتخافش إنت كويس، الجرح سطحي.

- مش مهم أنا يا «طارق»، الحق إنت «أميرة».

تغير وجهي حينها و(أنا) أدخل مسرعًا بحثًا عنها، حتى وجدتها في غرفتنا مستلقية أرضًا في غيبوبتها التي لم تستفق أبدًا منها، فلقد كان جرح رأسها عميقًا لم تحمله بأنوثتها وبراءتها، فلقد كانت بيضاء هي كالملائكة، لنبدأ رحلة علاج يئس منها كل الأطباء، معلنين موتها الإكلينيكي، منصبين أنفسهم خالقين على العباد! لأرفض (أنا) نصيحتهم برفعها عن أجهزة التنفس الصناعي متمسكًا بآخر أمل، وهو عملية جراحية دقيقة، والتي كانت ستكلف الكثير من المال، مستدعيًا تدبيري المزيد والمزيد من الأموال:

- عشان كده عملت العمليه؟

تساءل «فارس» لأجيبه بوضوح:



- كان لازم حد يدفع التمن.

- ومين اللي دفعه.

- هحكيلك يا «فارس»، بس المهم تسمعني.

قلتها لأقص عليه زيارتي إلى «ناصر شكري»، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم من داخل مكتب الأخير حيث كان من أمامه «ضرغام السيد» و«شوكت العلايلي»، بينما (أنا) متوقف عند بابهم، ليعزيني أولهم كذبًا:

- شد حيلك يا «طارق»، أنا حقيقي معرفش مين اللي ممكن يعمل كده!

بخبث قالها، ثم تابع مؤكدًا:

- إوعى تكون شاكك إن في حد مننا ليه علاقه بالموضوع يا «طارق»، ده مش أسلوبنا!

كاذبًا فيما ادعاه، لأنكر (أنا) شكوكي فيهم، وأجيب في ذكاء:



- (أنا) عارف يا باشا إني ليا ديول كتير، عشان كده (أنا) جيت النهارده.

- محتاج فلوس؟

تساءل «ضرغام نصر»، لأؤكد له:

- فلوس كتير، عشان أقدر أعالج «أميرة».

ابتسم «شوكت العلايلي» في طمع شديد، كعادته لا يترك فرصة:

- بس مفيش حاجه ببلاش يا «طارق»، إنت سيد العارفين.

- عشان كده (أنا) اللي هاعمل العمليه دي ولوحدي...

عمت السعادة الجميع، نظرًا لثقتهم في إمكانياتي، لأكمل موضحًا:

- أصل «ناصف» كان لسه متصاب ومفيش غيري يقدر على المطلوب.

ظهرت علامات الرضا على الجميع، لأبتسم كذبًا لهم.



- ونفذت؟!

تساءل «فارس» بطفوليته المعهودة فضولًا، لأتذكر (أنا) تنفيذي لتلك المهمة التي كانت بمثابة مشروع تخرجي، فلقد استخدمت كل ما أمتلك من خبرة في تنفيذها، ولكن كان الأهم تلك الجرأة التي ملأت قلبي، فبعد مرض «أميرة» وعجز الأطباء صرت كالانتحاري الذي يبحث عن الموت في كل صوب، فتوجهت إلى الحدود حيث طُلب مني عبورها لاستلام البضاعة بينما يجري الثلاثة الكبار تحويل المال إلكترونيًّا فور تأميني للمخدرات، الأمر الذي قمت به للتو بجهازي الموصل على الستاليت، ليبتسم كبيرهم محولًا ملايين من الدولارات بضغطة أصبع، ولكن لم تكن تلك هي الصعوبة، وإنما تكمن الصعوبة في طريق عودتنا، فلم يكن معي الكثير، وكان علينا مواجهة أكثر من قبيلة بدوية، منهم الخطر ومنهم الأكثر خطورة، ولكني خططت مسبقًا وعرفت من قلب كل قبيلة أقلهم وفاءً وأرخصهم سعراً، وتلك هي الخيانة بالفعل، خيانة الفرد لقومه، وهذا هو الثمن الزهيد عندما يتعلق بالمال، نجحت أخيرًا في عبور المرحلة الثانية سالمًا، ليتبقى عليَّ عبور بعض النقاط الأمنية، بخلاف الرجال الذين زودني بهم الكبار بعدما شكوا في ولائي، الأمر الذي أحسنت تخطيطه و(أنا) مرتدٍ بذلتي المهربة الواقية من الرصاص، والتي جعلت مني ماكينة تتحرك، بخلاف أسلحتي الفتاكة

التي حضرتها لتلك المهمة التي تبدو مستحيلة، لأتوقف مع رجالهم في النقطة التي اخترتها مسبقًا، ليقوم رجالي الذين حضرتهم (أنا) بالهجوم علينا، فأراهم يتساقطون جميعًا أرضًا واحدًا تلو الآخر، بعدما دفعوا هم كالعبيد ثمن أخطاء من تقبلوهم أسيادًا عليهم.

دفعت أخيرًا للرجال ما طلبوه من مال، تاركيَّ مع كل هذه الحقائب من الكريستال والتي كانوا يعرفون خطورة حكمها، لينتهي بي المطاف أخيرًا وحيدًا كعادتي منذ بداية الرحلة، لأواجه (أنا) مصيري في العبور من الكمائن الأمنية التي كنت أعبرها كثيرًا مؤخرًا من أجل تلك اللحظة التي نجحت فيها من أجل التحضير لانتقامي، لأقوم باتصال لاسلكي:

- الحاجه في الأمان.

ابتسم الكبار الثلاثة من مكتب «ناصر» قبل أن أكمل (أنا):

- الساعات اللي جايه هانبقى طيران منخفض، وأنا هاجيلكوا في الوقت المناسب.

ابتسم للتو «فارس» من الزنزانة بعد استنتاجه لدوره القادم في الرواية، والتي كان بالطبع (هو) بطلها!!



* * *



(١٤)

من محبسي كنت أنظر إلى دور «فارس» مستمتعًا، فخورًا بما فعلت، فلقد كان نهمًا إلى المزيد، يقتله فضوله من أجل النهاية التي ظن أنه يعرفها من خلال تلك الأخبار الإعلامية، ليتساءل في علم جاهل:

- وطبعًا حرقتهم على الكريستال.

- مش بس كده.

- عارف إنت بعد كده حرقتهم واحد واحد، هي دي القضيه اللي محدش عرف يفك لغزها، قضية «السجين X».

صدق «فارس» في كلامه و(أنا) أعيد تذكر قتلي لثلاثتهم مستمتعًا، انتقامًا لأميرتي، حيث بدأت بـ «ضرغام نصر» الذي فتح لي مبتسمًا غير منتبه لبذلتي القتالية التي اخترتها لإتمام طقوسي، لأدخل (أنا) بحقيبتي التي ظنها «ضرغام نصر» بضاعته ليطرد رجاله، لنظل سويًا في تلك الغرفة التي استمتعت فيها بكسره ذلًّا وهو يحاول التوسل إليَّ:



- أرجوك يا «طارق» إسمعني وماتظلمنيش، أنا مليش دعوه بحاجه.

لم أبالِ لحديثه و(أنا) أخلع بسلاسة حزامي الأسود رابطًا إياه على يدي المرتعشة لأنصب مشنقتي المميزة أمام عينه، عبثًا يحاول الصراخ مرغمًا إياي على كتم فمه، و(أنا) أكمل مستمتعًا قضاء حكمي الذي يستحقه دون أي تعجل، حتى نفذت حكمي العادل واضعًا إياه بين هذا الحزام المشدود حول رقبته، ثم حفرت علامتي على جبهته في نخر، ولكني لم أدفع بالكرسي من تحته كحال البقية، فلم أكن أتوق لكسر رقبته، بل لخنقه، حال ما فعله البطل في سلسلتي الروائية المفضلة «حلمي مهران» والتي تقمصت منها دوري في الانتقام.

ما انفككت مستمتعًا بحركة «ضرغام نصر» الذي يحاول البحث عن نفس وحيد دون قدرة، ليعلم للمرة الأولى تلك النعم التي أخذها مضمونة دون أن يحمد ربه عليها، حتى لفظ مسرعًا أنفاسه الأخيرة، لأنتبه (أنا) أن متعتي قد انتهت بسرعة، فشعرت بغضب و(أنا) أبحث عن ضحيتي التالية، بينما (أنا) أهرب دون أن أثير الريبة.

بعد موت «ضرغام نصر» بدأ القلق يتوغل إلى قلب «شوكت العلايلي» و«ناصر شكري» اللذين بدآ بتأمين



بيوتهما، بل قرر كل منهما السفر حتى يتم القبض عليّ، ولكني كنت أسرع من توقعاتهما، حيث كنت في انتظار «ناصر شكري» داخل غرفته التي اقتحمتها للمرة الثانية، ليدخل هو للتو من الخارج ليجد مشنقتي منتصبة أمامه، حارمًا إياي من الاستمتاع حين ركع أرضًا مستسلمًا، لأنهي ما حققته مع «ضرغام نصر» في دقائق إلى ثوانٍ معدودة، أزداد غضبًا بعدما صرت متعطشًا للمزيد من الدماء، لذا لم أخرج هاربًا كالسابق، بل خرجت من باب الفيلا الرئيسي شاهرًا سلاحي، أقتل متلذذًا كل من قابلت من رجال، فكما ذكرت، تحولت لإله ظالم للقتل، لأكمل في نفس ليلتي ذهابي متعطشًا إلى «شوكت العلايلي» لأفعل ما ذكرت مسبقًا فعله في ليلة راح ضحيتها الكثيرون، معيدًا إلى الخالق الكثير من عباده الطالحين، في حين أني لم أبرح عاجزًا عن إيجاد وجهة إلى طريقي و(أنا) أرتدي بذلتي الرياضية، ليأخذني الحنين إلى صالة الجودو تلك التي بدأت فيها حلم طفولتي، مكثت مليًّا ألمح بريق براءة الأطفال في صفاء قلوبهم المنعكس على نور عيونهم! والذي كنت مثلهم في السابق، فقط أحاول الدفاع عن نفسي، في رياضة خُلقت للحب، فعرفت أني بالفعل قد فشلت، نخلعت بذلتي الرياضية لأدفنها في مثواها الأخير بجانب قبر أختي عندما ذهبت لزيارتها، أشكو إليها ظلمي ومظلمتي، ولكني لم أسمعها كعادتي، فهي مشمئزة بالتأكيد مما فعلت يداي المرتعشة، ولكني كنت أدرك كوني قادمًا إليها خلال أيام معدودة، خاصة بعد تأكدي لعدم وجود أمل



في عودة أميرتي، التي قررت توديعها هي الأخرى، أسلم نفسي لهذا الضابط الذي أصبته مسبقًا:

- وأديني أهو بكتب آخر سطور قصتي، بعد ما اتأكدت إني بعدت أوي، خصوصًا لما رجعت أشوف سنين عمري ولاقيتني عشت فيها قصص كتير جدًّا، وشخوص أكتر، فقلت خلاص كفايه كده، وأديني أهو مستني الحكم يتنفذ.

ظهر التأثر على «فارس» الذي لم يجد التعبيرات المناسبة، بعدما أيقن أني هذا القاتل الذي ضل الطريق، ولم أكن هذا البطل الذي يبحث عنه، بل كنت «Anti Hero» فشل في النجاح في كل شيء إلا الانتقام.

- في السينما عندنا بنحاول نجسد شخصيات، لغاية ما الحبر اللي على الورق ما بينطق، وفي الآخر بننسى الفرق بين الواقع والخيال، دلوقتي حقيقي مابقتش شايف الفرق.

- مش مهم تشوفه يا «فارس»، المهم تحسه.

- طيب و«الكريستال» فين؟

- (إنت) الوحيد اللي ممكن تعرف يا «فارس»، ما خلاص إنت فهمت الدور، جيه بس وقت إنك تقوم



بيه.Cest la vie.

قلتها فابتسم «فارس» الذي حاول استيعاب دوره وهو يقوم بتوديعي، فليس بعد الكمال إلا النقصان، وهذا ما أدركه للتو، فلقد أنهيت ما أعرف من أحداث، ولكني كنت أجهل أيضًا الكثير وهذا ما سأقوم بقصه الآن، بداية من هذا المشهد المقزز الذي اكتشفت منه خداعي، حيث كان «ناصف» مع سيده «سمير السويفي».

- يا باشا ده أنا اللي خليت «طارق» يبلع الطعم، أنا اللي خليته يفتكر إن هما التلاته اللي عملوا كده في «أميرة».

ضحك بدونية تتماشى مع خيانته وهو يكمل:

- أنا اللي خليته يصفيهملك واحد ورا التاني عشان يصفالك الجو مع الكبير.

علمت للتو أني قد ظلمت ثلاثتهم، رغم أنهم كانوا يستحقون المزيد، لتنتهي قصتي بدرس جديد لن يدوم، فهناك دومًا وجه آخر للعملة، وهناك فرق بين الإنصات والاستماع، فلم أستطع فهم الأحداث رغم أني كنت في قلبها أعي جيدًا أني استبقت الأحكام، لأرأف (أنا) الآن بكل قاضٍ ملزم بالحكم دون أدلة كافية، فحتى الظالم قد يكون مظلومًا، والآن و(أنا) في محبس أوراقي، كل



حزني نابع لعجزي من الانتقام من «سمير السويفي» الذي عرفت أنه من قتل أختي قبل أميرتي، فكيف لي اليوم الانتقام!

- ومكنش في حاجه ببلاش يا «ناصف»، قلتلك قبل كده إن إنت رخيص.

رد «سمير» على «ناصف» الناظر أرضًا كعادته بينما يكمل سيده:

- ماتزعلش يا «ناصف»، الرخص مش عيب، طالما في اللي بيشتري، ودلوقتي مابقاش في غيري في السوق، أنا الملك.

قالها وهو يقوم من على عرشه فاردًا يديه كالطائر:

- طيب والملك ناقصه إيه؟

تساءل «ناصف» بعبودية:

- ناقصني الكريستال اللي أخده «طارق»، واللي مابقلهاش ليها صاحب، ما هو في كلاب كتير غيركوا محتاجين يشمشموا.



قالها ضاحكًا وهو يرمي له جرعة مخدرات، على الأرض، فيظل «ناصف» ينظر إلى المخدر في انكسار، إذ لم يكن قد تعافى كما ادعى، بل خدعني، فما برح عبدًا مكسورًا، وعليه لم أستطع الآن لومه، فلم تكن تلك أخلاقه، بل كانت أخلاق إدمانه.

- يالّا يا رجاله نفذوا اللي قلتلكوا عليه.

قالها «سمير» للتو مشيرًا إلى رجاله الذين استوعبوا ما يصبو إليه.

* * *

من سيارته كان «فارس» يقود في شرود يحاول استيعاب دوري الذي زرعته في عقله المريض، ليكمل (هو) الآن بخياله مشاهد كثيرة، كان أهمها هذا المشهد الذي ابتسم وهو يتخيله، لقد كان في نفس المكان الخلاب على شاطئ البحر، ولقد كانت هي هناك عند الشاطئ فبيضاء هي كالملائكة، إنها أميرتي (أنا) تسير في المياه حافية القدمين، تبتسم لـ «فارس» الذي كان قد تقمص دوري في تماهٍ ليقترب منها ممسكًا يدها في سعادة.

- (أنا) بحبك يا «أميرة».



قالها «فارس» للتو، لتتساءل أميرتي:

- ليه؟

- معرفش، يمكن عشان مليش غيرك، أو يمكن عشان قلبك، أو يمكن عشان محتاج صفحه جديده، معرفش، المهم إني بحبك.

- أنا كمان بحبك... يا «طارق».

تغيرت ملامح «فارس» للتو عند سماع اسمي ليعود من خياله إلى واقعه، مع صوت مكابح سيارته وهو يحاول إيقاف سيارته للتو منفعلًا، قبل أن يمسك برأسه مع عودة تلك الأصوات التي تطارده في عقله، ففي عجالة تحسس علبته وأخذ أقراصه، ليهدأ فجأة بينما أخذت يده اليمنى ترتعش ليبتسم ونعاود (نحن) القيادة في طريق حددته له مسبقًا، متجهين إلى أميرتنا في المستشفى بلهفة شديدة، مستبقين الخطوات، حتى وصل «فارس» إلى غرفتها ليجدها خالية، بينما «ناصف» هناك مستلقٍ أرضًا في حالة يرثى لها:

- مانتعبش نفسك.. خدوها.

زاد غضبي وتوتر «فارس» المتسائل:



- هما مين دول؟! ومالك عامل كده ليه؟!

كان «ناصف» مضروبًا بالفعل بعدما اعتدى عليه رجال «سمير السويفي»:

- ملحقتش ألحقها، الحاجه الوحيده الصح اللي حاولت أعملها في حياتي، برضه فشلت فيها.

كان بالفعل صادقًا، يحاول تصحيح مساره الذي يرنو إليه، ولكنه دفع الثمن بالطبع:

- فهمني بس يا بني آدم.

علق «فارس» مستفهمًا وهو يجثو أرضًا بجانب «ناصف» الذي كاد يفقد وعيه، فكان أن اعترف بخطاياه كمن خر من السماء فتخطفه الطير.

- أنا خاين يا «فارس»، خنت صاحبي كتير، الغيره حرقت قلبي، ومقدرتش أستحمل أبقى رقم اتنين، وكسرت قلبه بدل المره عشره.

تغيرت ملامح «فارس» الذي أمسك «ناصف» بقوة:



- تقصد إيه؟!!

دمع «ناصف» حزنًا على أفعاله التي قصها على مسامعي، لأعلم (أنا) بقية ما غاب عني في البداية منذ مقتل «جنة» وحتى خطف «أميرة» الآن على يد «سمير السويفي» في محاولة للضغط عليَّ لمعرفة مكان «الكريستال» الذي خبأته في مكان لا يستطيع (غيرنا) الوصول إليه.

توقف «فارس» بعد دقائق من الحقائق الثقيلة:

- «سمير السويفي» هو اللي قتل أخت «طارق»، وهو اللي خطف «أميرة» دلوقتي، خلي «طارق» يقوله الكريستال فين قبل ما يكسر قلبه عليها، ويخليها تسبقه للي خالقها، «طارق» وصاني عليها، وأنا كالعاده خنته، لو لحقت «طارق» إبقى قوله يسامحني.

تحرك «فارس» بصعوبة في طرقات المستشفى تاركًا «ناصف» للممرضين الذين تجمعوا حوله، بينما أسرع (هو) إلى سيارته في جنون، يقودها مسرعًا قد بدا واضحًا عليه انفعاله، فأصف (أنا) إلى عقله وجهته التالية، ليبتسم «فارس» مستسلمًا إليَّ تاركًا يده اليمنى للارتعاش تلقائيًّا و(نحن) نتحرك سويًّا كالعقل والجسد، لأصف له الطريق الذي حفظته عن ظهر قلب، حتى وجد «فارس» نفسه عند قبر أختي «جنة»، ليصف سيارته ويترجل منها وصولًا



إلى هذا الباب الحديدي الصدئ الذي فتحه ودخل ليقف بين يدي الرحمن قبل أن أنبهه إلى هذه الفأس في آخر المقبرة، لترتعش يده اليمنى ويبدأ الحفر الذي أنهيته (أنا) في دقائق معدودة ليجد ما وعدته به، إنه بالطبع «الكريستال» الموضوع في حقائب جلدية سوداء، بجانب أسلحتي المختارة بعناية، ابتسم «فارس» غير مستغرب، كما لم يثر فضوله إلا بذلة الجودو السوداء خاصتي والتي قمت بها بكل طقوسي.

* * *

داخل سيارة فان سوداء كان رجال «سمير السويفي» قد جهزوها لتصبح كسيارات الإسعاف، لنقل هذا الجسد الرقيق، فلقد كانت أميرتي داخلها مستلقية موصلة بتلك الأجهزة التي تبعث فيها الحياة، بينما من جانبها كان هذا الطبيب الحسيني يقوم بفحوصاته لضمان سلامتها؛ نظراً للقيمة الكبيرة التي سيتم استبدالها بها.

وصلت السيارة إلى مدخل قصر «سمير السويفي» الذي استقبل عودة رجاله بفرحة غامرة من داخل غرفته الكلاسيكية، والتي كان يقوم فيها بالتمتع بالنظر إلى سلاحه المطلي بالذهب الخالص، ليقوم بتجميع أجزائه باستمتاع ثم قام ووضعه داخل خزانته، ثم أخرج منها روبه الحريري مرتديًا إياه أعلى بذلته ثم غادر إلى لوبي الغرف الشاسع



ومنه إلى هذا الباب الذهبي بجانب السلالم، ليفتح للتو مصعدًا بانوراميًّا فارهًا لا يجرؤ على استخدامه في القصر غيره! فدخل ضاغطًا على مستوى البدروم ليبدأ المصعد في النزول مصحوبًا بموسيقى كلاسيكية هادئة، ليبتسم وهو يخرج سيجاره الثمين ليشعله فور توقف المصعد، ليصل إلى تلك الطرقة الشاسعة أسفل مستوى الأرض، والتي لا تصل الشمس أبدًا إليها، مارًّا من أمام رجاله الذين ملأوا المكان، حتى وصل إلى تلك الغرفة ذات الحراسة المشددة ليفتحها له رجاله المدججون بالسلاح، ليجد الطبيب وطاقمه قد وصلوا للتو، يكملون عملهم بوضع أميرتي على تلك الأجهزة، حتى اطمأن هذا الطبيب معدوم الضمير من سلامة عمله رغم خبثه! ليبتسم نخورًا إلى سيده:

- كده يا «سمير» بيه، بقت كأنها في المستشفى بالظبط.

ابتسم «سمير» دانيًا من أميرتي التي كانت بيضاء كالملائكة، ليغريه بياض بشرتها الذي أثار شهوته الحيوانية.

- عال يا دكتور.. جزاك الله كل خير.

بسخرية علق وهو يلامس نخذها العارية من أسفل ملابس المستشفى:

- دلوقتي بقى ممكن تسيبني مع العروسه شويه؟



ابتسم الطبيب الذي فهم قصد سيده ليخرج، بينما ظل «سمير» يتحسس جسد ملاكي دون شفقة مارًّا يده على ثديها، ليلتفت إلى رجاله:

- ممكن تخرجوا كلكوا؟

خرج الجميع ليكمل «سمير» نجاسته مستمتعًا وهي في رقادها وادعة لا حول لها ولا قوة.. ما أوضع الحيوان المسمى بالإنسان حين يبرز جانبه الأقذر، فنظلم سائر الحيوان عداه، إذ نسويه به في أحوال خسته! يقول إلى نفسه المريضة:

- مش حرام الجسم الفاير ده يتدفن بالحياه!

بشهوة دنا منها ليلعق أعلى صدرها قبل أن يبدأ بتمزيق ملابسها، لأهرب (أنا) من هذا المشهد صاعدًا إلى أعلى عاجزًا عن رؤية أميرتي يُهتك عرضها، ولكني وجدت «فارس» هناك عند مدخل القصر، مرتديًا بذلة الجودو السوداء الخاصة بي، يقترب من رجلَي الحراسة اللذين ابتسما له عندما عرفا هذا الممثل المشهور الذي ظناه قادمًا إلى سيدهما، قبل أن يسرع «فارس» برفع سلاحه لقتل الأول، وبينما ذهل الثاني مفزوعًا توجه إليه كاسرًا عنقه ببرود يتماشى مع شخصيتي ثم ترك هذا السلاح ليقع من



يده المرتعشة أرضًا، لأقوم (أنا) باستكمال عملي، فلقد صار «فارس» منذ تلك اللحظة ملكي، صار مجرد جسد يحركه عقلي لأتمكن من تحقيق عدالتي و(أنا) أعبر داخل حديقة القصر من أمام تلك الكاميرات التي رصدتنا، ليقوم أحد أفراد الأمن الجالس خلف شاشات المراقبة بالاتصال بسيده:

- «سمير» بيه في حد اقتحم القصر سعادتك.

نجحت خطتنا للتو لزرع الخوف داخل قلب «سمير السويفي» الذي عجز عن استكمال مهمته الجنسية، بعدما توجه سير دمائه لتغذية غريزة البقاء بدلًا من غريزة التكاثر، ليترك أميرتي عارية، ويخرج هربًا بين رجاله يجر جزءًا من بنطاله لم يربط حزامه بعد.

- مستنيين إيه! شوفوا الكلب اللي دخل وهاتهولي فوق.

أسرع الرجال في اتباع أوامر سيدهم ليتفرق كل منهم في مكان، قبل أن يسرع «سمير» بالصعود على السلالم بدلًا من المصعد، طابقًا تلو الآخر حتى وصل إلى طابق النوم، ليسرع إلى غرفته قبل أن يسمع من خلفه موسيقى المصعد الذي لم يكن يستخدمه غيره، يصعد في هدوء من خلفه لتقترب الموسيقى إلى أذنه، ليزداد هلعه ويهرع راكضًا إلى غرفته، فدخلها وأغلقها من الداخل، ثم اتجه إلى خزانته



باحثًا عن سلاحه الذهبي الذي وضعه منذ دقائق ليجده قد اختفى! جُن جنونه وهو يعاود البحث قبل أن يسمع صوت شد أجزائه:

- بتدور على حاجه يا «سمير» بيه؟!

التف «سمير» في توتر ليجدنا هناك حيث كان «فارس» جالسًا داخل الغرفة في حالة استرخاء وهو يدخن سيجار «سمير الوسيفي» الفاخر:

- «فارس»!!

- كنت متأكد إنك هاتيجي هنا.

بهدوء مرضي قلناها ليحاول «سمير السويفي» استخدام كاريزمته لقتلنا معنويًا:

- وأنا الصراحه مكنتش متخيل إنك فعلًا هاتيجي.

مخرجًا الدخان على شكل حلقات دائرية سبقني «فارس» معلقًا:

- اللي يحضر عفريت بقى.



- هو إنت صدقت الدور بجد! إنت مجرد بلياتشو.

في محاولة سخرية قالها «سمير السويفي» الذي لم يكن يعامل «فارس» بجدية حتى اللحظة جاهلًا أني كنت (أنا) هناك داخله أقرب إليه إلى نفسه لأقول:

- طيب مش عيب برضه تموت على إيد بلياتشو؟..

- أنا اللي زيي مابيموتش يا غبي.

بجرأة علق «سمير» ساخرًا وهو يقترب دون خوف من «فارس» مضيفًا:

- أنا مش بني آدم يا «فارس»، أنا فكره والفكره مابتموتش.

- أقف مكانك.

توتر «فارس» لأحاول (أنا) استعادة زمام الأمور بينما لا يزال «سمير» يقترب:

- إنت ماسمعتنيش برضه، لأنك مجرد صورة لـ «طارق»، دور مكتوبلك وإنت فيه مجرد حبر على ورق.



انفعل «فارس» ضاغطًا على الزناد دون أن يطلق أي عيار ناري فقد كان المسدس يعمل ببصمة «سمير السويفي» الذي أكمل اقترابه ساخرًا:

- مش بقولك مابموتش؟ أنا يابني اللي زيي بيعبدوني على الأرض، أنا الصندوق الأسود اللي في زبالتكوا كلها، أعرف عن كل واحد منكوا كل حاجه، وإنت زبالتك كتير يا «فارس».

بدأ «فارس» يتذكر ماضيه بينما يكمل «سمير السويفي» تلاعبه:

- إنت يا «فارس» مجرد أب طايش وزوج خاين وكمان ممثل فاشل.

استسلم «فارس» للتو ولكني لم أستسلم، لأعود (أنا) ممسكًا زمام الأمور أخيرًا وترتعش يداي متعطشة لمزيد من الدماء، ليلاحظ «سمير السويفي» تلك الرعشة التي يعرفها جيدًا، ليحاول التقهقر ولكني كنت قد بادرت بالإمساك به بقوة أذهلت «سمير السويفي» بينما أكملت (أنا) لَيِّ يده حتى انكسرت بصوت مرتفع ممتع أذني أطربني قعقعة عظمها ليجثو «سمير» أرضًا على ركبتيه وهو ينظر إلى أعلى حيث كانت ملامح «فارس» قد تلاشت راسمة ملامحي الغاضبة حينما تمتم باسمي بصوت منكسر



من الألم:

- إنت مش «فارس»، إنت «طارق»!

أبتسم و(أنا) أطفئ السيجار داخل يد «سمير السويفي» ليمتع أذنيَّ بصراخه و(أنا) أقول:

- مش فارقه كتير.

قلتها مقتربًا من الرجل واضعًا في فمه بعض حبوب الكريستال، لأزيد من هلاوس الرجل، وبينما (أنا) مستمتع بانتقام «فارس» نظرت إلى نظارة «سمير السويفي» الطبية لأجد بالفعل انعكاسًا لصورتي (أنا) داخل زجاج نظارته، فابتسمت و(أنا) أخرج حزامي الأسود المفضل لديَّ، لأتوقف (أنا) عن استماع ما ظل «سمير السويفي» في قوله، بل شغلت بالي بمتعة الانتقام، تاركًا «فارس» للإنصات، حتى أتممت (أنا) صنع مشنقتي المحببة، ليستسلم الرجل غير مستوعب لتلك النهاية، التي دفع أخيرًا ثمنها من يستحق وهو معلق مشنوق داخل غرفته يحاول البحث عن أنفاس أخيرة، ينظر إلينا في محاولة بائسة للتفريق بين واقعه والخيال، وعلامتي تنير جبينه في لحظات تأملتها مستمتعًا انتهى العرض، ورفعت الستار، لأخرج من تلك الغرفة تاركًا خلفي جثته تترنح، ليهرع إلينا أحد الرجال فباغتناه بقوة قبل أن نأخذ سلاحه،

لنبدأ نهال على كل حارس قادم ضربًا، إلى أن جعلوا يتهاوون أمامنا واحدًا تلو الآخر، لأبدأ (أنا) تدوير موسيقى تصويرية داخل عقل «فارس» المريض، بينما أستوقف الصورة من أمامه لتصبح أكثر ضبابية كحال التصوير البطيء، ليبتسم ونحن نستمتع برؤية الجميع ببطء، لنستطيع التغلب ببساطة على الجميع، حتى أنهينا للتو تلك المذبحة وتوجهنا سويًّا إلى الدور السفلي حيث غرفة أميرتنا، التي تركها البقية هاربين تاركين باب غرفتها مفتوحًا أمام تلك المعركة التي دارت رحاها قبيل قليل، لنخرج ونلقي سلاحنا أخيرًا من أمام غرفتها احترامًا لها، بينما كان من خلفنا أحد الرجال المتبقين يبتسم بعدما صرنا عُزَّلًا، ليشهر الرجل سلاحه إلينا ليقوم بإطلاق رصاصة انتبهنا إليها للتو، لنلتفت سويًّا إلى هذا الرجل منتظرين طلقة النهاية، لنغمض عينينا أخيرًا، ولكن تلك الطلقة لم تأتِ أبدًا، فعدنا بفتح أعيننا، لنجد صديقنا الوحيد «ناصف» قد فدانا للتو بصدق كفر به عن ذنبه، قبل أن يخرج طلقته الأخيرة لقتل الرجل، ليقع كلاهما أرضًا من أمامنا، لنركض ناحية «ناصف» متناسيين خيانته لنجثو على ركبتينا و(نحن) واحد من أمامه، ليبتسم إلينا:

- أول مره أعمل حاجه صح يا صاحبي.

- إستنى يا «ناصف» ماتخافش هاتعيش.



- أول مره تكدب عليا يا «فارس»..

قالها ثم شرد لحظة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لتصبح الصورة أكثر ضبابية، ليعلق مندهشًا:

- إنت «طارق».. صح؟!

لفظ «ناصف» نفسه الأخير مندهشًا قبل سماع قصتنا، لأغلق (أنا) للتو عينيه مسامحًا إياه عن كل ذنوبه، فلقد أحسن الرجل خاتمته، لأنسى (أنا) في لحظة كل ما فعل دهرًا كاملًا.

* * *



(١٥)

من خارج غرفة «أميرة» بالمستشفى كان «فارس» هناك يطمئن مع الطبيب على حالتها التي تغيرت فجأة:

- على فكره مدام «أميرة» متحسنه.

لم يستطع «فارس» التصديق، ليعلق مذهولًا:

- يعني إيه؟! ممكن تفوق؟!

- معرفش طبعًا، بس واضح إن اللي حصل أثر عليها بالإيجاب، عمومًا كله مقدر ومكتوب.

قالها الطبيب متيمنًا بقصتنا التي كان فيها الكاتب وفيها المكتوب، ليخرج «فارس» من المستشفى سعيدًا بنهاية قد تكون سعيدة لقصتنا، ويستقل سيارته ويهرب من دوامة الحياة في سعادة مستمتعًا بعذوبة صوت «رجاء بلمليح» قبل أن تأخذه قدماه ناحية هذا القصر الذي كان الآن مسرحًا لأكبر جرائم السنة، حيث كان المقدم «هشام» قد وصل للتو إلى غرفة «سمير السويفي» المعلق شنقًا قبل أن يلاحظ تلك الحقيبة الموضوعة على سرير الرجل، فاقترب



إليها مندهشًا، فاتحًا إياها ليجد أخيرًا تلك الكمية الكبيرة من «الكريستال» موضوعة هناك، ليبتسم وهو يشير إلى عساكره ليحرزوها، قبل أن يقوم بإبلاغ قادته، بإغلاق أكبر قضية تهريب في السنوات الأخيرة، إلا أن هذا لم يكن ليكفيه، فلقد كان دائمًا يبحث عن العدالة، وليس فقط تطبيق القانون، لذا ترك المقدم «هشام» مكتبه وذهب إلى صديقه المقرب «حلمي مهران» الذي كان ينتظره ليستمع إلى حل القضية التي لم يقبلها بالطبع «حلمي مهران» ناصحًا «هشام» بالعودة إليَّ لمواجهتي بالحقائق، وها هو قد فعل، لأجد (أنا) في لحظة المقدم «هشام» جالسًا أمامي يبحث عن بقية الحقيقة.

- أرجوك يا «طارق» اتكلم، دي آخر فرصة ليك قبل تنفيذ الحكم.

كان بالفعل صادقًا، فلقد كان هذا هو اليوم الموعود ليكمل «هشام» محاولًا استخراج الحقائق مني:

- يا «طارق» «سمير السويفي» اتقتل بنفس الطريقه! دي ممكن تكون حجة دفاع.

لم يعرف «هشام» أني كنت أبحث صدقًا عن الخلاص.

- (أنا) قولتلك يا «هشام» بيه معنديش حاجه أقولها،



ولا عندي حاجه أعيش عشانها.

قلتها (أنا) جاهلًا أن أميرتي في المستشفى في تلك اللحظة بالتحديد كانت قد بدأت بتحريك جفني عينيها تحاول التمسك بالحياة.

- أرجوك يا «طارق» اتكلم.

حاول «هشام» مرة أخرى حتى استسلم، ليقف يائسًا ملتفتًا إلى الباب من خلفه ليشير إلى الشرطيين اللذين دخلا لتحقيق العدالة، لأدرك (أنا) أنها أخيرًا النهاية فتوقفت بصعوبة رغم جرأتي، فلم أكن أهاب ملك الموت، بل كنت أهاب خالقه، فكما ذكرت لم أكن جاهزًا ولكني كنت أعلم أنني لن أكون أبدًا كذلك، فوالله لو عبدت خالقي الدهر كله، ما أتممت حق نعمة واحدة من نعمه، ربّت «هشام» في عجز على كتفي ليصبرني، فابتسمت له هامسًا إياه ببعض الحقائق:

- «هشام» بيه، «سمير السويفي» هو اللي قتل أختي، وهو اللي حاول يقتل أغلى حاجه عندي، وفي الحالتين مكنتش أعرف، بس أهو كل شيء في أوانه.

ابتسم «هشام» فجأة مستوقفًا الشرطيين وهو يسألني:



- يعني إيه إنت حرضت على قتله؟

ابتسمت (أنا) رافضًا:

- أحرض مين بس و(أنا) في السجن هنا يا «هشام» بيه؟! بس ربنا عدل.

ابتسم «هشام» الذي فهم الحقيقة، فتساءل:

- «فارس».. صح؟!

- كفايه يا «هشام» بيه، قلتلك ربنا عدل، إنت لاقيت اللي كنت بتدور عليه، خلي باقي القصه تخلص في هدوء، وخليك فاكر، كل شيء مقدر ومكتوب.

ابتسم «هشام» مستسلمًا ليتركني إلى قدري المكتوب، بينما ظل ساكنًا قبل أن يلفت نظره دفتر يومياتي الذي كنت أدون فيه كتاباتي على مدار الرواية، ليقترب «هشام» منه ويقرأ العنوان وهو «المتقمص»، لتبدأ بعض الأصوات تتصاعد داخل عقله، وإن كانت مجرد أصوات همس وأفكار ولكنها بالطبع كانت بصوتي (أنا) الكاتب والراوي العليم لكل الأحداث:

«في شعره بسيطه بين الحقيقه والخيال، هي اللي بتخلي



الحياه نتعاش زي الحواديت والحواديت نتصدق زي الحقايق، المهم في الحالتين، إننا ماننساش اللي عشناه»

تذكرت للتو كلماتي و(أنا) أرمق تلك الغرفة الصغيرة لتنفيذ العدالة، لأجد فيها كل من قتلت يومًا، فلقد كان فيها أربعتهم «سمير السويفي» و«شوكت العلايلي» و«ضرغام نصر» و«شكري السيد» بينما من خلف كل منهم رجاله الذين قتلتهم، بخلاف الكثير من ضحايا هذا الكريستال الذي ملأوا الغرفة بأجسادهم، كما ملأوا عقلي من قبل بأصواتهم، تلك الأصوات التي لازمتني حياتي كلها منذ اخترت هذا القطار الذي كنت أعلم مسبقًا محطته الأخيرة، لأظل أرمق هذا الحبل المجدول بطريقة أحفظها، ولكنها كانت أكثر آدمية، فلقد كان طوله مناسبًا لوزني، حتى تتكسر رقبتي قبل الموت قبل أن أختنق بحثًا عن الأنفاس التي حرمت منها ضحاياي، ليغطي أخيرًا «عشماوي» رأسي بهذا الغطاء الأسود الذي عزلني عنهم، قبل أن تسكت أصواتهم أخيرًا.

* * *

«كل شيء مقدر ومكتوب، وكل نهايه بتخلق بدايه جديده، ودايمًا الحياه بتيجي من بعد الموت»

كانت تلك الكلمات التي سمعتها أميرتي للتو في خيالها



قبل أن تفتح عينيها أخيرًا عائدة إليهم بعد غيبوبة استمرت شهورًا طويلة، لتجدني من أمامها في صورة أكثر جاذبية، فابتسمت إليه وهي تحاول إدراك واقعها من الخيال:

- أنا عارفاك.

علا للتو صوت الضجيج في ذهن «فارس» قبل أن يبتسم.

- وأنا كمان عارفك.

ظل «فارس» مبتسمًا بينما (أنا) أسمع رغمًا عني ما يدور داخل ذهنه، ليزداد توتري لما كنت لا أزال أجهل، لأتوقف منصتًا في فضول:

«حقيقي أنا كنت محتاج بدايه جديده، ومن غير ما أنسى اللي فات.

بس ده مينمنعش إني أقفل الحسابات».

لم أكن أعرف بعد تلك الحسابات التي قصدها «فارس» لأترك إليه المجال، فترك أميرتي رغم عودتها للحياة وترك المستشفى، وإني والله ما كنت لأتركها أبدًا ولكني كنت لا أزال أجهل وجهته، ليأخذ «فارس» سيارته ويقودها



بينما يقوم بتغيير ملابسه في هدوء، حتى وصل إلى هذا المنزل الفخم، ليصفها في هدوء ويترجل، لأقرأ (أنا) تلك اليافطة التي كُتب عليها اسم المنتج «خالد صفوت» المكتوبة على عمود رخامي للفيلا، الذي عبره «فارس» متوجهًا إلى الباب ليرن الجرس متوقفًا قبل أن يفتح «خالد» الباب في سعادة.

- النجم عندنا!! ألف بركه اتفضل يا غالي اتفضل.

قالها «خالد» محييًا «فارس» الذي تبعه إلى الداخل، قبل أن يلاحظ شيئًا غريبًا لم أنتبه إليه (أنا) شخصيًّا إلا حينها:

- إيه بدلة الجودو الغريبه اللي إنت لابسها دي؟!

كانت بالفعل تلك هي بذلتي التي تظهر دائمًا على «فارس» فضفاضة، لتملأ التساؤلات رأس «فارس» حال «خالد» المتسائل:

- هو إنت اتقمصت الدور من دلوقتي ولّا إيه!!

- حاجه زي كده.

- يعني القصه عجبتك؟



قالها «خالد» محاولًا التلاعب بعقل «فارس» المريض.

- جدًّا خصوصًا التويست الأخير.

توتر «خالد» والتف في محاولة البحث عن سلاحه، بينما عاد «فارس» إلى ذهنه مشهد قتل «سمير السويفي» حين أغلقت (أنا) مسامعي عن كلماته وانشغلت مستمتعًا بانتقامي، تاركًا الإنصات إلى «فارس» الذي فعل بالفعل، ليعيد الآن إلى ذهنه كلمات الرجل التي سمعتها للمرة الأولى على لسان «سمير السويفي» حين قال:

- يا «فارس» أنا عبد المأمور، روح للكبير اللي عامل فيها صاحبك.

- تقصد مين؟

- «خالد صفوت»...

قالها «سمير السويفي» في حينها بقوة قبل أن يكمل مقنعًا «فارس» بالحقيقة:

- أومال إنت فاكر إنه بيساعدك ليه؟ هي كده المصالح دايمًا بتتصالح.



سمعت (أنا) للتو تلك الكلمات أنتبه أخيرًا للحقيقة، فلقد كان هذا هو صوت «خالد صفوت» دائمًا بالفعل، لأنتبه للتو لما يفعله «فارس» هنا مرتديًا بذلتي السوداء، بينما لا يزال «خالد» يبحث عن سلاحه في توتر:

- مالك يا «فارس»؟ واضح إن الفيلم عجبك، إنت قريته بجد بقى.

في محاولة لتشتيت انتباه «فارس» قالها وهو يتابع:

- يخرب بيت شيطانك يا أخي، إنت خضتني بجد.

أدرك «خالد» سلاحه للتو، قبل أن يقترب «فارس» منه دافعًا السلاح بعيدًا ليخرج عيار ناري بعيدًا، ليقع «خالد» أرضًا للتو، ويقترب منه «فارس» ممسكًا بحزامه الأسود، ليحاول «خالد» مجددًا التلاعب بعقل «فارس»:

- «فارس» إنت اتقمصت الدور بجد ولّا إيه!! «فارس» ده كان ورق، مجرد فيلم أنا بعتهولك.

اقترب «فارس» ممسكًا بيد «خالد» الذي بدأ بالصراخ:

- يا «فارس» اعقل، أنا معملتش حاجه حرام عليك، يا «فارس»، ده كان مجرد فيلم..... يا «فارس»... يا



«طارق»...

لم يستمع «فارس» الذي أنهى مهمته حافرًا علامتي المجهولة على جبين «خالد» لينير حرف X عالمه المجهول، قبل أن يعود «فارس» في هدوء إلى منزله، الذي دخله للتو، ناظرًا إلى مرآة المدخل لينظر إلى نفسي في اندهاش فلقد كان البخار قد دون رمزي المجهول أمامه للتو حرف X الذي ميزت به قصتي، ليتعجب «فارس» وهو يحدث نفسه قائلًا:

«أنا محتاج فعلًا أفتكر كل اللي فات، أنا مابقتش عارف أنا مين»،

«فارس» ولّا «طارق»، ممثل ولّا قاتل، حقيقة ولّا مجرد دور مكتوب على الورق! يمكن لما أفهم، صوت الهمس يقل في خيالي».

قالها بعدي وهو يحاول الهروب من أصوات ضحاياه بعدما مرض بعلّتي، قبل أن يصعد إلى غرفته في محاولة منه لغسل ذنوبه، ليبدأ الاستحمام في هدوء وهو يرمق الماء المترقرق يهرب منه ماسحًا دماءهم حتى توقف وارتدى روب الاستحمام وخرج إلى غرفته ليرتدي ملابس أنيقة، قبل أن ينتبه إلى علبة أقراصه، ليخرج منها جرعة أخيرة، أعادته للتو إلى واقع مختلف، ليسمع صوت «خالد» حين



قال:

«فارس».. إنت اتقمصت الدور بجد ولّا إيه!! «فارس» ده كان ورق، مجرد فيلم أنا بعتهولك».

جلس «فارس» متوترًا قبل أن يساوره القلق، فنزل إلى مكتبه ليجد برواز الصورة مقلوبًا، فعدله ليجده فارغًا من صورة «شهد» وطفليه، فزاد توتره وتوجه إلى التلفاز الذي لم يكن هناك برواز أعلاه كالعادة بل مجرد مكيف هواء بارد لم يلحظه «فارس» من قبل ليملأ الشك قلبه الضعيف، حتى لاحظ هذا السيناريو الموضوع على الأريكة، فأمسكه مرتعشًا ليجده مفتوحًا عند آخر صفحاته، فأعاده للبداية ليقرأ الغلاف الذي كُتب عليه «السيناريو X» هوي «فارس» جالسًا ريثما جعل يفر الورق، لتعاود الأصوات إلى ذهنه وهو يقرأ كلام السيناريو.

«تتغير ملامح البطل عند سماع اسم «طارق» ليعود من خياله إلى واقعه،

لنسمع صوت مكابح السيارة من المشهد القادم».

يعود «فارس» إلى هذا المشهد حين ضغط المكابح، ليزداد توتره وهو يقلب الورق مرة أخرى يائسًا.



«يقتل البطل «سمير السويفي» شنقًا».

أغلق «فارس» السيناريو X في هلع للتو ممسكًا برأسه، فهل يعقل أن يكون كل ما عاشه، مجرد أحداث قرأها على الأوراق وتماهى فيها حد الجنون؟! لحظات والقلق يقتله، مدركًا علة عقله المريض، فهل «أميرة» هي مجرد بطلة أحبها على الورق؟ هل هرب «فارس» من واقعه إلى الجنون؟ لحظات مرت عليه كالدهر، وتساؤلات بلا إجابة، حتى وقف «فارس» في محاولة منه لإدراك الحقيقة مهما كانت بشاعتها، فوقف في حالة هستيريا ليقوم بالاتصال بـ «خالد» للتأكد من واقعه والخيال ولكن الأخير لم يجب بالطبع، فأمسك بالسيناريو X وهرع خارجًا إلى سيارته، ظنًا منه أنه كان يتخيل ما حدث، في محاولة منه لإدراك عقله من الجنون حتى وصل بسيارته التي كان يقودها في جنون إلى فيلا «خالد صفوت» ليشعر براحة للوهلة الأولى أنها هناك بالفعل، فصف سيارته وترجل مسرعًا عبورًا من السور ليقف عند مدخلها ضاربًا الجرس مرارًا ولكن دون أن يفتح الرجل، فارتجف «فارس» الذي أدرك خطورة الموقف، فهل تماهى في الفيلم إلى حد قتل صديقه؟!

يبدأ «فارس» في طرق الباب بقوة، ولكن دون فائدة، فتحرك إلى نافذة ليحاول إلقاء نظرة إلى صديقه، ليعرف إذا كان بالفعل قد قتله! ليتجمد الدم في عروقه من هول



ما رآه! ليحاول بسرعة «فارس» الهروب عائدًا إلى سيارته قبل أن يقع متعرقلًا أرضًا ليُصدم رأسه ويغيب للحظات عن الوعي، عاد منها سريعًا متوجهًا إلى سيارته.

من ناحيتي (أنا) المؤلف لا أدرك لمَ عرقلت «فارس» للتو، ولكني استمتعت بهروبه وعلو دقات قلبه التي حددتها هنا من داخل مكتبي الفاخر مستمتعًا بدرجة حرارته بفضل مكيف الهواء الموضوع أعلى التلفاز، لأتابع (أنا) كتاباتي مستمتعًا بما أفعله في حب لأعيد «فارس» إلى سيارته وأجعله يمسك بالسيناريو X ليقرأ اسم المؤلف الذي كان بالطبع اسمي (أنا) «طارق علوان»، فأخذ «فارس» يمسك بهاتفه في جنون متصفحًا «جوجل» ليجد اسمي (أنا) المؤلف والسيناريست «طارق علوان» في الكثير من الصفحات، ومعهم صورتي التي يعرفها «فارس» بالطبع، فأخذ يبحث عن عنواني، لأمرره (أنا) أمام عينه في هدوء شديد، فلقد كنت قد افتقدته بالفعل، لأجعله منقادًا في هذا الطريق الذي رسمته إليه، وهو طريق من اتجاه وحيد سيجدني (أنا) عند نهايته، بينما لا يزال يسمع أصواتنا داخل عقله لا يستطيع إدراك تلك الأحداث، حتى وصل إلى هذا المنزل الذي عرفه «فارس» للتو، فلقد كان صورة طبق الأصل من بيته، أو لعله بالفعل هو! صف «فارس» السيارة وترجل منها ناحية تلك اللافتة التي كُتب عليها اسمي «طارق علوان»، بدأ «فارس» في الانهيار بينما (أنا) أدفع بقدميه ناحيتي، حتى عبر الباب الخارجي ومنه



إلى الداخل، لينظر يمينه حيث تلك المرآة التي أفضلها عند الباب، ليحاول النظر إلى صورته التي لم تكن بالطبع هناك، يتفاقم مرضه قبل أن يهدأ حين وجد صورة أميرتنا معلقة في الداخل، فأبتسم قبل أن أناديه إلى غرفة مكتبي، التي دخلها «فارس» للتو مندهشًا.

* * *

اندهش «فارس» من تطابق غرفة مكتبي بغرفته! فظل يرمقها مندهشًا مستمتعًا ببرودة مكيف الهواء الذي يعتلي التلفاز، بينما تركت (أنا) أخيرًا قلمي مبتسمًا إلى بطل روايتي الذي ظل يرافقني طوال تلك الرحلة، اقترب «فارس» من مكتبي وأمسك هذا البرواز الذي وضعت فيه صورتي مع زوجتي «أميرة» ملهمة كتاباتي على الدوام، ثم نظر إليَّ فوجدني «طارق» الذي يعرفه جيدًا، فأدرك توًا أن سجني كان دومًا مكتبي، بل إنه عقلي الذي أكتب فيه تلك القصص المريضة:

- هو انت!!

- أومال عفريت؟!

ألقى «فارس» إليَّ السيناريو X على مكتبي متسائلًا:



- إنت اللي كاتب الفيلم ده؟

ابتسمت و(أنا) أتحدث إلى نفسي كالمعتاد.

- في الواقع أنا لسه بكتبه.

- أنا عندي أسئله كتير!!

تنهدت و(أنا) أشرب كوبًا من المياه بيدي المرتعشة نظرًا لكثرة كتاباتي:

- وإيه الجديد؟ زيك زي كل القراء والمشاهدين، هو ده الفن، وهي دي متعة الروايات والقصص.

استوقفني «فارس»:

- هو سؤال واحد بس.

بصعوبة قالها ليكمل متسائلًا:

- هو كل اللي أنا عشته كان مجرد فيلم؟!

يعني أنا مجرد «راكور»، مجرد دور مجهول في السيناريو!!!!



- تقصد X؟

- هو مين فينا X؟

- إنت شايف إيه!!

- أنا مش شايف حاجه ولا قادر أفصل الحقيقه من الخيال.

حاسس أني في بنا واحد «ملهم» والتاني «موهوم»

- دي حقيقة يا غالي في بنا وحد بس هو إللي «ملهم» والتاني فعلًا «موهوم».

يسكت لحظة ثم يكمل:

- Cest la vie يا صديقي، لو خيال عيشه كأنه حقيقه، ولو حقيقه عيشها كأنها حلم.

- بس ده كابوس... أنا قتلت «خالد»؟!

- ده لو كان «خالد» أصلًا حقيقه! مش ممكن X يبقى مجرد رمز مبني للمجهول، مجرد توقيع في قصة في خيال



مؤلف مريض.

أمسك «فارس» برأسه في ضيق ليخرج علبة دوائه ليجدها خالية، قبل أن يقترب «طارق» موضحًا:

- أنا وإنت يا «فارس» فنانين بندور على الكمال، إنت عشت الفيلم لدرجة إنك شوفته واقع، وأنا عشت اللي كتبته وتخيلته، لدرجة إني شوفت شخصياته، والدليل إني بكلمك.

ضحكت للتو و(أنا) أمسك بعلبة دوائي التي وصفتها لي طبيبتي النفسية لأستطيع مواجهة خيالي و(أنا) أكمل:

- رغم إنك......... مجرد شخصية أنا كتبتها.

ابتسم «فارس» الذي أدرك ما أحاول (أنا) شرحه.

- هو إنت كمان عايز تقنعني إني سراب.. مجرد دور إنت كاتبه؟

سكت مبتسمًا قبل أن يزداد عناد «فارس».

- يعني أنا لو قتلتك دلوقتي إنت مش هاتموت؟



قالها «فارس» وهو يخرج من جيبه سلاحًا في وجهي لأبتسم دون خوف:

- هو ده جمال الفن يا «فارس» وهي دي رسالته، إنك تخرج من القصه مصدق الحدوته، تنسى في ساعتين تلاته هم الواقع، وترجع تحلم من أول وجديد، عشان بعد كده تقدر تحقق أحلامك.

استمع «فارس» للتو إلى طريقتي المرتبة في الحديث والمماثلة إلى حد كبير ثقافته، ليدرك أن لغتي الروائية تلك لم تكن لغة قاتل أبدًا.

- كل حقيقه حلوه وراها خيال حالم يا «فارس».

- طب ليه مكنش (أنا) الواقع يا «طارق» وإنت مجرد فكرة فيلم (أنا) عشته؟

للحظة أدركت صدقه، لأتوتر، فهل يمكن أن يكون صادقًا!

- (أنا) اللي حقيقه يا «طارق»، وإنت اللي مجرد حبر على ورق، لو اضرب عليك النار هاتموت ونتأكد.

متحديًا قالها «فارس» ليزداد خوفي، فلم يكن يقيني كافيًا



لمواجهة أبطال رواياتي بعد، لذا أصرت طبيبتي النفسية على استمراري بأخذ العلاج، فأمسكت علبة دوائي بحثًا عن قرص آخر ينبهني عن حقيقتي والخيال، إلا إن كانت جرعاتي (أنا) الآخر كانت قد انتهت، ليزداد هلعي، بعدما استطاع «فارس» بقدرته التمثيلية زرع الشك في عقلي المريض، قبل أن يرأف بحالي، ويضع سلاحه إلى جانبه مبتسمًا، ليكمل:

- عارف يا «طارق».. مش مهم مين فينا الحقيقه ومين فينا اللي خيال، المهم إن إحنا الاتنين نعيش............................ يا صاحبي .Cest la vie

ابتسمت (أنا) للتو قبل أن تظهر من الخارج أميرتنا تقترب من غرفة المكتب، ليرمقها كل منا في حب شديد، حتى وصلت هي أخيرًا إلى الباب، لأشير (أنا) إليها موجهًا حديثي إلى «فارس»:

- شوفت ازاي الحقيقه ممكن تكون أحلى من الخيال؟

ابتسمت «أميرة» متحدثة أخيرًا:

- إنت هاتفضل باصصلي كده كتير؟.. يالَّا بقى وحشتني.



للحظة واجهني «فارس» بوجه آخر للعملة قائلًا:

- لأ يا «طارق»، الخيال أحلى كتير من الحقيقه..

للحظة نظرت إليه في خوف، فهل يعقل أن تكون «أميرة» هي الأخرى من خيالي المريض؟! قبل أن أبحث داخل عقلي استسلمت لحديثها الرقيق، بيضاء هي كالملائكة:

- إنت لسه يا حبيبي قاعد هنا بتكلم نفسك وسايبني لوحدي؟

أدركت (أنا) و«فارس» للتو حقيقة أخرى، أننا بالفعل واحد، قد نكون «فارس» يبحث عن دور عمره، أو مؤلفًا يبحث عن قصة حياته، ابتسم كل منا إلى الآخر و(نحن) نجيب أميرتنا بصوت واحد:

- حاضر يا «أميرتي» (أنا) جاي حالًا.

قلناها سويًّا ليخرج منا واحد فقط أحبته «أميرة» حبًّا جمًّا مثل الأساطير، فهكذا كانت قصتنا حال الدنيا، مقدر ومكتوب، حال هذا البرواز الخالي على مكتبي يبحث عن صورة لتملأ قلبه، لأنهي (أنا) المؤلف والراوي العليم قصتنا



بجملة من خيال عقلي المريض:

«لازم تسمعوا الهمس اللي في قلوبكوا،

وصدقوه زي ما الممثل ما بيتقمص الدور،

ولازم المؤلف يصدق في اللي كتبه.

ما كل حاجه مقدر ومكتوب.

Cest la vie.»

* * *

الراوي الغائب (العليم):

هو أكثر أنواع الرواة شيوعًا وانتشارًا، وهو من يقوم بالرؤية من خلف، والرؤية من خلف المقصود بها، هو الإلمام بكافة مجريات الأمور، وكافة الأفكار التي تدور في ذهن الشخصيات المتواجدة في الرواية، فيكون الكاتب أو الراوي على علم كافٍ بكل التفاصيل، إذ يتوغل في عقول وصدور الشخصيات ومعرفة نواياهم، فقد يعرضها للقارئ بشكل واضح في النص السردي، ويسمى الراوي العليم في عالم السرد الأدبي بالراوي العليم بكل شيء.



الراوي المشارك الـ(أنا):

وفي ذلك النوع من أنواع الرواة يقوم الراوي بدورين: دور الشخصية المشاركة في العمل الروائي، ودور الراوي نفسه، كما أن هذا النوع من الأنماط أكثر اتباعًا في حالة أدب الاعتراف.

الراوي المتعدد:

يحتاج هذا النوع من السرد إلى حبكة مميزة، وقدرة ومهارة كبيرة من الكاتب، حيث إن الراوي المتعدد إن لم يتم حبكة نص الرواية يشتت القراء ويقلل من قيمة العمل، لأن الراوي المتعدد هو النوع الشامل من الرواة، حيث يُقص العمل ويُسرد من خلال أبطال العمل، الكل يقص من زاويته، ويشبه العمل في هذا النوع الأحجار التي توضع فوق بعضها البعض فتكون البناية كاملة.

«ليعلم كل منا أن له كتابًا،

تُكتب فيه كل حياته بالحرف الواحد،

وحين يقرأه سيندم على كل الأحكام التي حكمها قبل المداولة،



وعلى لحظاتٍ مرَّت دون استغلالها في عشقِ قلوبٍ ظلَّت في خيالنا».

«أحمد عثمان»

* * *



«لكل أجل كتاب ولكل وعد ميعاد»

تمت بحمد الله الواحد الأحد.

#حبر على ورق

أحمد عثمان

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com



شكر وتقدير

أمي وأبي..

إخوتي وزوجتي وأولادي

زملائي وعملائي الكرام وقرائي الأعزاء



أحمد عثمان

مواليد القاهرة ١٩٨٢، تخرج في كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة حلوان ٢٠٠٤، ليبدأ مشواره الاحترافي في مجال التصميم المعماري والديكور، متخصصًا في المجال السكني، حتى استقر فترة في «باريس» وأنشأ شركة «ريني» للعمارة والديكور، ومن ثم عاد إلى القاهرة مفتتحًا فرعها الثاني في حي التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة.

درس كتابة السيناريو على يد المخرج الراحل «إبراهيم الشقنقيري» وعمل معه في بعض أعماله في بداية الألفينات، ثم ابتعد فترة طويلة حتى عاد لدراسة السينما في باريس عام ٢٠١٥، قبل أن يتخذ من الأدب الروائي طريقًا له بجانب الديكور والهندسة المعمارية، نجح في تصدر قائمة الأعلى مبيعًا لدار نشر «إبداع» على مدار أربع سنوات متتالية، ومنها إلى مراكز متقدمة في المكتبات، صدر فيها للكاتب خمسة أعمال روائية:

«لمسة مليكا»، و«الوحي»، و «لَ نوفيلا»،

و «القديس»، و «١٠ ٣١» و «الخائن»



وقع الكاتب منها ثلاثة أعمال للدراما، الأول عن عمله الروائي «الوحي» مع المنتج المرموق «د. خالد حلمي»- شركة «راديو وان» لعمل مسلسل درامي، ومن ثم التعاقد الثاني مع المنتج الوقور «أحمد عبد العاطي»- شركة «آرت ماكرز» لعمل مسلسل تليفزيوني عن عمله الرابع «القديس» بطولة النجم العالمي «خالد النبوي»، و»حلمي مهران» لشركة «فيردي» للمنتج «محمد عبد الحميد»، وأخيرًا ظهر للنور عمله السينمائي الأول فيلم «قبل الأربعين» في فبراير ٢٠٢١، محتلًا وصافة الشباك رغم جائحة كورونا، الفيلم بطولة «بسمة»، و«داليا مصطفى»، و«إيهاب فهمي»، و«هالة فاخر»، و«أحمد حلاوة» مع باقة من النجوم ومن إنتاج «شادي صبرة - شركة بروماكس»، كما تم إصدار سلسلة ورقية للكاتب باسم «حلمي مهران».

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com

